

مختصر الفصول في سيرة الرسول ﷺ

للإمام الحافظ المفسر

أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

اختصره

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك

كلية التربية - جامعة الملك سعود





الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢٩هـ



الدائري الشرقي - مخرج ١٥ - ٢ كم غرب أسواق المجد

الرياض : الملز / ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) - فاكس : ٤٧٢٣٩٤١
السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧ فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦
مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ - مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧
مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مندوب التوزيع الخيري للمنطقتين الجنوبية والشرقية : ٠٥٠٨٣٩٩٨٥٧
مندوب التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
لطلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع على الإنترنت : www.madar-alwatan.com
البريد الإلكتروني : pop@dar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المختصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد..

فما من شك أن الأسرة هي نواة كل مجتمع وقلبه النابض، وأساس نهضته وازدهاره أن أُحسن رعايتها، أو تخلفه وانكماشه إن أُسيء رعايتها.

ومن هنا توجهت كافة الجهود الرسمية وغير الرسمية لعلاج مشكلات الأسرة، وتذليل العقبات والصعاب التي تواجهها.

وإسهامًا منا في إعداد أسرة مؤمنة متماسكة قادرة على مواجهة التحديات، كان هذا الإصدار «**المكتبة الثانية للأسرة**».

وقد دفعنا إلى المسارعة في إخراج هذا الإصدار تلقي القراء للمكتبة الأولى للأسرة بالرضى والقبول وذلك من خلال الرسائل الكثيرة التي وصلتنا، وازدياد الطلب عليها، ورغبة الكثيرين من القراء والمتبرعين في الاستمرار على هذا النهج.

ويضم هذا الإصدار من الكتب ما يلي:

١- مختصر «**الفصول في سيرة الرسول**» لابن كثير.

٢- مختصر «**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**» لابن القيم.

٣- مختصر «**جامع العلوم والحكم**» لابن رجب.

٤- مختصر «**صيد الخاطر**» لابن الجوزي.

٥- مختصر «**لطائف المعارف**» لابن رجب.

٦- مختصر «**كتاب الكبائر**» للذهبي.

إن الهدف من هذا الإصدار والذي قبله هو تقوية الوازع الديني في نفوس أفراد الأسرة، وصولًا إلى تعظيم الله تعالى ومحبته والسعي في مرضاته واجتناب معاصيه.

ولا شك أن هذا الهدف يسهم في علاج كثير من مشكلاتنا الأسرية والاجتماعية من كافة الجوانب: الاعتقادية والتعبدية، أو الأمنية، أو الاجتماعية والأخلاقية، أو الاقتصادية.

فإذا قوى الإيمان وصحّت عقائد الناس، اتجهوا إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وابتعدوا عن الشرك كبيره وصغيره، وعن البدع والضلالات التي لا أصل لها.

وعلى الجانب الأمني، نجد أن أفراد الأسرة الذين امتلأت قلوبهم بمحبة الله، هم أكثر الناس حفاظًا على أمن البلاد والعباد، وأبعد الناس عن الإرهاب والإفساد في الأرض وترويع الآمنين، فلا يتساهلون بدماء المسلمين وأهل الذمة من المعاهدين والمستأمنين، ولا يتجاوزون حدود الله عزَّ وجلَّ بارتكاب الجرائم التي تخلُّ بالشرف والمروءة والأمانة.

وعلى الجانب الاجتماعي والأخلاقي، نجد أن تقوية الوازع الديني يسهم في إصلاح أوضاع الأسرة الاجتماعية، فيسارع أفرادها إلى تأدية ما عليهم من حقوق، فيختفي بذلك عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ويسود حسن العشرة بين الزوجين مكان الخلافات الدائمة، ويتعامل الناس فيما بينهم بمكارم الأخلاق، ويسارعوا إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية التي تحفظ المجتمعات، مثل رعاية الأيتام والأرامل والمعاقين والمسنين وأصحاب الاحتياجات الخاصة وغيرهم.

وعلى الجانب الاقتصادي، نجد أنه إذا قوي الإيمان وثبت تعظيم الله في النفوس، أثّر ذلك في صدق التعامل بين الناس، وإتقان العمل، والانتهاء عن أكل الربا، وترك الاحتكار، والكف عن رفع أسعار السلع دون سبب، ورأينا التوسط في الإنفاق والاستهلاك والبُعد عن الإسراف والتبذير، والمسارعة في حفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين.

وفي الختام أقدم الشكر الجزيل للقراء الكرام والإخوة المتبرعين ولكل من ساهم ودعم وشارك في إنجاح هذا العمل، وأسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يكتب له القبول أنه خير مسؤول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك
كلية التربية – جامعة الملك سعود
dralmazyad@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه؛ كما يحبُّ ربُّنا ويرضَى.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له؛ شهادة من أخلصَ له قلبُه، وانجابتْ عنه أكدارُ الشركِ وصفا، وأقرّ له بِرِقِّ العبوديةِ، واستعاذ به من شرِّ الشيطانِ والهوى، وتمسَّك بحبلِه المتينِ المنزَّلِ على رسولِه الأمينِ؛ محمدٍ خيرِ الورَى، صلواتُ الله وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الحشرِ واللِّقا.

ورضي اللهُ عن أصحابِه، وأزواجِه، وذريتِه، وأتباعِه أجمعين؛ أولي البصائرِ والنهى.

أما بعد:

فإنه لا يَجْمُلُ بأولي العلمِ إهمالُ معرفةِ الأيامِ النبويةِ، والتواريخِ الإسلاميةِ؛ وهي مشتملةٌ على علومٍ جَمَّةٍ، وفوائدَ مهمةٍ، لا يَسْتغني عالمٌ عنها، ولا يُعذر في العِرْوِ[١] منها.

وقد أحببتُ أن أعلِّقَ تذكرةً في ذلك؛ لتكونَ مدخلًا إليه، وأنموذجًا وعونًا له وعليه، وعلى الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي.

وهي مشتملةٌ على ذكرِ نسبِ رسولِ الله - عليه الصلاةُ والسلام -، وسيرتِه، وأعلامِه، مما تمسُّ حاجةُ ذوي الإرْبِ[٢] إليه على سبيلِ الاختصارِ - إن شاء الله تعالى -.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) العرو: الخِلْو والمعنى هنا: الجهل.

(٢) ذوي الإرب: ذوي الحاجة. أو أصحاب العقول والفطنة.

[ذكر نسبه ﷺ]

هو سيدُ ولدِ آدمَ: أبو القاسمِ؛ محمدٌ، وأحمدُ، والماحي؛ الذي يُمحَى به الكفرُ، والحاشرُ؛ الذي يُحشر الناسُ على عَقِبيهِ، والعاقبُ؛ الذي ليس بعده نبيٌّ، ونبيُّ الرحمةِ.

ابنُ عبد الله، بنِ عبدِ المطلبِ، بنِ هاشمِ، بنِ عبدِ منافٍ، بن قُصَيّ، بنِ كلابٍ، بنْ مُرَّةَ، بنِ كعبٍ، بنِ لؤيّ، بنِ غالبٍ، بنِ فهر، بنِ مالكٍ، بنِ النضرِ، بنِ كِنَانَةَ، بنِ خُزَيمةَ، ابنِ مُدْرِكَةَ، بنِ إلياسَ، بن مُضَرَ، بن نِزَارٍ، بنِ مَعَدٍّ، بن عدنانَ.

وهذا النسبُ الذي سُقناه إلى عدنانَ لا مِرْيةَ فيه ولا نزاعَ، وهو ثابتٌ بالتواتر والإجماع.

ولا خلافَ بين أهلِ النسبِ وغيرهم من علماءِ أهلِ الكتابِ: أن عدنانَ من ولدِ إسماعيلَ؛ نبيِّ الله، وهو الذبيحُ على الصحيحِ من قولي الصحابةِ والأئمةِ، وإسماعيلُ بنُ إبراهيمَ؛ خليلُ الرحمنِ -عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام-.

فجميعُ قبائلِ العربِ مجتمعونَ معه في عدنانَ؛ ولهذا قال الله - تعالى -: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

قال ابنُ عباسٍ - رضي الله عنهما -: لم يكنْ بطنٌ من قريشٍ إلا ولرسولِ الله ﷺ فيهم قرابةٌ.

وهو صفوةُ الله منهم؛ كما رواه مسلمٌ في «صحيحه» عن واثلةَ بنِ الأسقعِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله اختار كِنانةَ من ولدِ إسماعيلَ، ثم اختار من كِنانةَ قريشًا، ثم اختار من قريشٍ بني هاشمٍ، ثم اختارني من بني هاشمٍ»**(١).

ولم يولدْ من بني إسماعيلَ أعظمُ من محمدٍ ﷺ؛ بل لم يولدْ من بني آدمَ أحدٌ - ولا يولدُ إلى قيامِ الساعةِ - أعظمُ منه ﷺ؛ فقد صحَّ عنه أنه قال: **«أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخْرَ، آدمُ فمن دونَه من الأنبياءِ تحتَ لوائي»**(٢).

---

(١) مسلم (٢٢٧٦).

(٢) أحمد (٢٥٤٢)، والترمذي (٣١٤٨).

وصحَّ عنه أنه قال: «سأقومُ مقامًا يرغبُ إليّ الخلقُ كلُّهم؛ حتى إبراهيم»(١).

وهذا هو المقامُ المحمودُ الذي وعده الله – تعالى –، وهو الشفاعةُ العظمى التي يشفعُ في الخلائقِ كلِّهم؛ ليريحَهُم اللهُ بالفصلِ بينهم من مقامِ المحشرِ؛ كما جاء مفسَّرًا في الأحاديثِ الصحيحةِ عنه ﷺ.

وأمه ﷺ: آمنةُ بنتُ وهبِ، بنِ عبدِ منافِ، بن زُهرةَ، بنِ كلابِ، بنِ مُرَّةَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[ولادته ورضاعه ونشأته ﷺ]

وُلد رسولُ الله ﷺ يومَ الإثنينِ، لِلَيْلتين خَلَتَا من ربيعِ الأولِ.

وقيل: ثامنُه، وقيل: عاشِرُه، وقيل: لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ منه، وذلك عامَ الفيلِ.

ومات أبوه وهو حَمْلٌ، وقيل: بعد ولادتِه بأشهرٍ، وقيل: بسنةٍ، وقيل: بسنتينِ، والمشهورُ الأولُ.

واستُرضع له في بني سعدٍ، فأرضعتْه حليمةُ السعديةُ؛ وأقام عندها في بني سعدٍ نحوًا من أربعِ سنينَ، وشُقَّ عن فؤادِه هناك، فردتْه إلى أمِّه.

فخرجتْ به أمُّه إلى المدينةِ؛ تزور أخوالَه بالمدينةِ، فتوفِّيت بالأبواءِ(٢)، وهي راجعةٌ إلى مكةَ، وله من العُمرِ ستُّ سنينَ وثلاثةُ أشهرٍ وعشرةُ أيامٍ.

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه»(٣): «أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بالأبواءِ – وهو ذاهبٌ إلى مكةَ عامَ الفتحِ – استأذن ربَّه في زيارةِ قبرِ أمِّه، فأَذِنَ له، فبكى وأبكى مَنْ حَوْلَه، وكان معه ألفُ مُقَنَّعٍ؛ أي: بالحديدِ».

فلما ماتت أمُّه؛ حَضَنَتْه أمُّ أيمنَ – وهي مولاتُه، وَرِثَها من أبيه –، وَكَفله جَدُّه عبدُ المطلبِ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ من العمرِ ثماني سنينَ تُوفِّي جَدُّه، وأوصى به إلى عمِّه أبي

---

(١) مسلم (٨٢٠).

(٢) الأبواء: موضع بين مكة والمدينة.

(٣) مسلم (٩٧٦).

طالبٍ؛ لأنه كان شقيقَ عبدِ الله فكفَلَه، وحاطَه[١] أتمَّ حِيَاطةٍ، ونَصَره حين بعثَهُ اللهُ أعزَّ نصرٍ، مع أنه كان مستمرًّا على شِرْكِه إلى أن مات! فخفَّفَ اللهُ بذلك من عذابِه؛ كما صحَّ الحديثُ بذلك[٢].

وخرجَ به عمُّه إلى الشامِ في تجارةٍ وهو ابنُ ثِنْتَيْ عشرةَ سنةً، وذلك من تمامِ لطفِه به؛ لعدمِ من يقومُ به إذا تركه بمكةَ، فرأى هو وأصحابُه ممن خرج معه إلى الشامِ من الآياتِ فيه ﷺ؛ ما زاد عمَّه في الوَصَاةِ به، والحرصِ عليه؛ من تظليلِ الغَمامةِ له، وميلِ الشجرةِ بظلِّها عليه، وتبشيرِ بَحِيرى الراهبِ به، وأمرِه لعمِّه بالرجوعِ به؛ لئلا يراه اليهودُ فيَرومونَه سوءًا.

ثم خرجَ ثانيًا إلى الشامِ في تجارةٍ لخديجةَ بنتِ خويلدٍ - رضي الله تعالى عنها - مع غلامِها ميسرةَ على سبيلِ القِرَاضِ[٣]، فرأى ميسرةُ ما بَهَره من شأنِه، فرجع فأخبرَ سيدتَه بما رأى، فَرَغِبَتْ إليه أن يتزوجَها؛ لِـمَا رجَتْ في ذلك من الخيرِ الذي جَمَعَه اللهُ لها، وفوقَ ما يخطرُ ببالِ بشرٍ، فتزوَّجَها رسولُ الله ﷺ وله خمسٌ وعشرونَ سنةً.

وكان اللهُ - سبحانه - قد صانه وحماه من صِغَرِه، وطَهَّره من دنسِ الجاهليةِ ومن كلِّ عيبٍ، ومنحه كلَّ خُلقٍ جميلٍ؛ حتى لم يكنْ يُعرفُ بين قومِه إلا بالأمينِ؛ لما شاهدوا من طهارتِه، وصدقِ حديثِه، وأمانتِه.

حتى إنه لما بَنَتْ قريشٌ الكعبةَ في سنةِ خمسٍ وثلاثينَ من عمرِه، فوصَلوا إلى موضِعِ الحجرِ الأسودِ؛ اشْتَجروا فيمن يضعُ الحجَرَ موضِعَه؟ فقالتْ كلُّ قبيلةٍ: نحنُ نضعُه، ثم اتفقوا على أن يضَعَه أولُ داخلٍ عليهم، فكان رسولُ الله ﷺ فقالوا: جاء الأمينُ،

---

(١) حاطه: رعاه.

(٢) يشير إلى قوله ﷺ: «هو في ضحضاح من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدركِ الأسفل» رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) القراض: المضاربة.

فرضُوا به، فأمر بثوبٍ، فوضعَ الحجَرَ في وسَطِهِ، وأمر كلَّ قبيلةٍ أن ترفَعَ بجانبٍ من جوانبِ الثوبِ، ثم أخذَ الحجَرَ فوضعَه موضعَه ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[مبعثُـه ﷺ]

ولما أراد اللهُ – تعالى – رحمةَ العبادِ، وكرامتَه بإرسالِه إلى العالمينَ؛ حبَّب إليه الخلاءَ، فكان يتحنَّثُ(١) بغار حراء؛ فَفَجَأَهُ الحقُّ وهو بغارِ حِرَاء في رمضانَ، وله من العمرِ أربعونَ سنةً، فجاءه الـمَلَكُ، فقال له: اقرأ، قال: «لستُ بقارئٍ» فَغَتَّه(٢)؛ حتى بَلَغَ منه الجهدَ، ثم أرسله، فقال له: اقرأ، قال: «لستُ بقارئٍ» – ثلاثًا –، ثم قال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١ – ٥].

فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بَوَادِره(٣)، فأخبر بذلك خديجةَ – رضي الله تعالى عنها –، وقال: «قد خشيتُ على عَقْلِي»، فَثَبَّتَتْهُ، وقالت: أبشِرْ، كلا والله لا يُخزيك اللهُ أبدًا؛ إنك لتَصِلُ الرحمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتحمِلُ الكَلَّ(٤)، وتعينُ على نوائبِ الدهرِ(٥)، في أوصافٍ أُخر جميلةٍ عدَّدتها من أخلاقِه ﷺ، وتصديقًا منها له، وتثبيتًا وإعانةً على الحقِّ؛ فَهِيَ أولُ صدّيقٍ له – رضي الله تعالى عنها وأكرمَها –.

ثم مكثَ رسولُ الله ﷺ ما شاء الله أن يمكُثَ لا يرى شيئًا، وفتر عنه الوحيُ؛ فاغتَمَّ لذلك.

فقيل: إن فترَةَ الوحيِ كانت قريبًا من سنتينِ أو أكثر، ثم تَبَدَّى له الـمَلَكُ بين

---

(١) يتحنث: يتعبد.

(٢) فغتّه: عصره وضمه حتى حبس أنفاسه.

(٣) ترجف بوادره: يضطرب.

(٤) تحمل الكلَّ: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك.

(٥) البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

السماءِ والأرضِ على كرسيٍّ، وثبتَه، وبشَّره أنه رسولُ الله حقًّا، فلما رآه رسولُ الله ﷺ؛ فَرِقَ منه(١)، وذهب إلى خديجةَ، فقال: «زمِّلوني، دثِّروني» فأنزلَ الله عليه. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(٢) [المدثر: ١ - ٤].

فكانت الحالُ الأولى حالَ نبوةٍ وإيحاءٍ.

ثم أمرهُ الله في هذه الآية أن يُنذِرَ قومَه، ويدعُوهم إلى الله، فشمَّر ﷺ عن ساقِ التكليفِ، وقام في طاعةِ الله أتمَّ قيامٍ، يدعو إلى الله - سبحانَه - الكبيرَ والصغيرَ، الحرَّ والعبدَ، الرجالَ والنساءَ، الأسودَ والأحمرَ، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة.

فكان حائزَ قَصَبِ سَبْقِهم(٣) أبو بكرٍ ﷺ؛ عبدُ الله بنُ عثمانَ التيميُّ ﷺ، وآزرَه في دينِ الله، ودعا مَعَه إلى الله على بصيرةٍ؛ فاستجابَ لأبي بكرٍ: عثمانُ بنُ عفانَ، وطلحةُ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ.

وأما عليٌّ؛ فأسلمَ صغيرًا ابنَ ثماني سنينَ، وقيل: أكثرُ من ذلك.

وكذلك أسلمتْ خديجةُ، وزيدُ بنُ حارثةَ.

وأسلم القسُّ ورقةُ بنُ نوفلٍ، وصدَّقَ بما وجدَ من وحيِ الله، وتمنَّى أن لو كان جَذَعًا(٤)، وذلك أولَ ما نزلَ الوحيُ.

وفي «الصحيحين»(٥)؛ أنه قال: هذا الناموسُ الذي جاءَ موسى بنَ عمرانَ؛ لما ذهبتْ به خديجةُ إليه، فقصَّ عليه رسولُ الله ﷺ ما رأى من أمرِ جبريلَ - عليه السلام -.

ودخل في الإسلامِ من شرحَ اللهُ صدره للإسلامِ على نورٍ وبصيرةٍ ومعاينةٍ، فأخذهم سفهاءُ مكةَ بالأذى والعقوبةِ، وصان اللهُ رسولَه ﷺ، وحماه بعمِّه أبي طالبٍ؛ لأنه كان شريفًا مطاعًا فيهم، نبيلًا بينهم، لا يتجاسَرون على مُفَاجَأَتِه بشيءٍ في أمرِ محمدٍ ﷺ؛ لما

(١) فرِق منه: فزع.

(٢) رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) حائز قصب سبقهم: تعبير تقال لمن سبق قومًا في شيء وأصله أنهم كانوا ينصبون في حلقة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق.

(٤) جذعًا: شابًّا قويًّا.

(٥) البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

يعلمون من محبتِه له، وكان من حكمةِ الله بقاؤُه على دينِهم؛ لما في ذلك من المصلحةِ.

هذا ورسولُ الله ﷺ يدعو إلى الله ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا؛ لا يصدُّه عن ذلك صادٌّ، ولا يردُّه عنه رادٌّ، ولا يأخذُه في الله لومةُ لائمٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[اشتدادُ أذى المشركين]

ولما اشتدَّ أذى المشركين على من آمنَ، وفتنوا منهم جماعةً؛ حتى إنهم كانوا يَصْبِرونهم[1]، ويُلقونَهم في الحرِّ، ويضعونَ الصخرةَ العظيمةَ على صدرِ أحدِهم في شدةِ الحرِّ؛ حتى إن أحدَهم إذا أُطلقَ لا يستطيعُ أن يجلسَ من شدةِ الألمِ.

ومرَّ عدوُّ الله أبو جهلٍ عمرُو بنُ هشامٍ بسميةَ أمِّ عمارٍ، وهي تُعَذَّبُ وزوجُها وابنُها، فطعنَها بحربةٍ في فَرْجِها؛ فقَتَلها – رضي الله عنها وعن ابنِها وزوجِها –.

وكان الصِّدِّيقُ – رضي الله تعالى عنه – إذا مرَّ بأحدٍ من الموالي يعذَّبُ يَشْتريه من مواليه ويعتقُه؛ منهم: بلالٌ، وأمُّه حَمامةُ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وأمُّ عبسٍ، وزِنِّيرةُ، والنهديةُ، وابنتُها، وجاريةٌ لبني عَدِيٍّ.

حتى قال له أبوه؛ أبو قُحافةَ: يا بُنيَّ! أراك تعتقُ رقابًا ضِعافًا، فلو أعتقتَ قومًا جُلَداءَ؛ يمنعونَك! فقال له أبو بكر: إني أريدُ ما أريدُ.

فيقال: إنه نزلتْ فيه: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل: ١٧ – ١٨] إلى آخرِ السورةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) يصبرونهم: يحبسونهم.

[الهجرةُ إلى الحبشةِ]

فلما اشتدَّ البلاءُ؛ أذِنَ الله – سبحانَه وتعالى – لهم في الهجرةِ إلى أرضِ الحبشةِ، فكان أولُ من خرج فارًّا بدينِه إلى الحبشةِ: عثمانَ بنَ عفانَ ﷺ، ومعه زوجتُه رقيةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ، وتَبِعه الناسُ.

ثم خرج جعفرُ بنُ أبي طالبٍ وجماعاتٌ –رضِي اللهُ عنهم وأرضاهم –، فكانوا نيفًا وثمانينَ رجلًا.

فانحازَ المهاجرون إلى مملكةِ أصْحَمةَ النجاشيِّ، فآواهم وأكرمهم، فكانوا عنده آمنين.

فلما عَلِمَتْ قريشٌ بذلك؛ بعثت في إثرِهم عبدَ الله بنَ أبي ربيعةَ وعمرَو بنَ العاصِ بهدايا وتُحَفٍ من بلادِهم إلى النجاشيِّ؛ ليردَّهم عليهم، فأبى ذلك عليهم، وتَشَفّعوا إليه بالقُوَّادِ من جندِه، فلم يُجبهم إلى ما طلبوا، فوشُوا إليه: إنَّ هؤلاء يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، يقولون: إنه عبدٌ!!

فأُحْضِرَ المسلمون إلى مجلسِه، وزعيمُهم جعفرُ بنُ أبي طالبٍ ﷺ، فقال: ما يقولُ هؤلاءِ: إنكم تقولون في عيسى؟! فَتَلا عليه جعفرُ سورةَ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[1] فلما فرغَ؛ أخذ النجاشيُّ عودًا من الأرض، فقال: ما زادَ هذا على ما في التوراةِ ولا هذا العودَ، ثم قال: اذهبوا، فأنتم سيوم[2] بأرضي، من سبَّكم؛ غَرِمَ.

وقال لعمرٍو وعبدِ الله: والله؛ لو أعطيتموني دَبْرًا من ذهب –يقولُ: جبلًا من ذهبٍ –؛ ما سلَّمتُهم إليكما، ثم أمرَ؛ فَرُدَّتْ عليهما هَدَاياهما، ورجعا مَقْبوحَيْنِ بشَرِّ خَيْبةٍ وأسوئِها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[مقاطعةُ قريش لبني هاشم وبني المطَّلب]

ثم أسلمَ حمزةُ عمُّ رسولِ الله ﷺ وجماعةٌ كثيرونَ، وفشا الإسلامُ.

فلما رأتْ قريشٌ ذلك؛ ساءَها، وأجمعوا على أن يتعاقَدُوا على بني هاشمٍ وبني

---

(١) وهي سورة مريم.

(٢) سيوم: كلمة حبشية معناها: آمنون.

المطلبِ ابنَيْ عبدِ منافٍ: ألَّا يُبايعوهم، ولا يُنَاكحوهم، ولا يكلّموهم، ولا يجالسوهم؛ حتى يُسَلّموا إليهم رسولَ الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلَّقوها في سَقْفِ الكعبةِ.

فانحازَ بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ؛ مؤمنُهم وكافِرُهم - إلا أبا لهبٍ - لعنه اللهُ - وولدُه - في شِعْبِ أبي طالبٍ، محصورينَ مُضَيَّقًا عليهم جدًّا نحوًا من ثلاثِ سنينَ.

ثم سَعَى في نقضِ تلك الصحيفةِ أقوامٌ من قريشٍ، فكان القائمُ بأمرِ ذلك هشامُ ابنُ عمرِو بنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ، مشى في ذلك إلى مُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ وجماعةٍ من قريشٍ، فأجابوه إلى ذلك.

وأخبر رسولُ الله ﷺ قومَه أن اللهَ قد أرسلَ على تلك الصحيفةِ الأَرَضَةَ[1]، فأكلتْ جميعَ ما فيها؛ إلا ذكرَ الله - عزَّ وجلَّ -؛ فكانَ كذلك.

ثم رجعَ بنو هاشمٍ وبنو المطلبِ إلى مكةَ، وحصلَ الصلحُ برغمٍ من أبي جهلٍ عمرِو بنِ هشامٍ.

واتصَلَ الخبرُ بالذين هم بالحبشةِ: أن قريشًا أسلموا، فَقَدِمَ مكةَ منهم جماعةٌ، فوجدوا البلاءَ والشدةَ كما كانا، فاستمروا بمكةَ إلى أن هاجروا إلى المدينةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[خروجُ النبي ﷺ إلى الطائفِ]

فلما نُقِضَتْ الصحيفةُ؛ وافق موتَ خديجةَ - رضي الله عنها - وموتَ أبي طالبٍ، وكان بينهما ثلاثةُ أيامٍ؛ فاشتدَّ البلاءُ على رسولِ الله ﷺ من سفهاءِ قومِه، وأقدموا عليه[2].

فخرج رسولُ الله ﷺ على الطائفِ؛ لكي يُؤْووه، وينصُروه على قومِه، ويمنعُوه منهم، ودعاهم إلى الله - عزَّ وجلَّ -، فلم يُجيبوه إلى شيءٍ من الذي طلبَ، وآذوه أذًى عظيمًا، لم يَنَلْ منه قومُه أكثرَ مما نالوا منه.

---

(١) الأرضة: دويبة بيضاء تشبه النملة.

(٢) أقدموا عليه: اجترؤوا عليه.

فرجَع عنهم، ودخل مكةَ في جوارِ المطعِم بنِ عديٍّ بنِ نوفل بنِ عبدِ منافٍ، وجعل يدعو إلى الله – عزَّ وجلَّ –، فأسلم الطفيلُ بنُ عمرٍو الدوسيُّ، ودعا له رسولُ الله ﷺ أن يجعَلَ الله له آيةً؛ فجعل الله في وجهِه نورًا، فقال: يا رسولَ الله! أخشَى أن يقولوا: هذا مُثْلَةٌ[١]! فدعا له، فصار النور في سَوْطِه؛ فهو المعروفُ بذي النورِ[٢].

ودعا الطفيلُ قومَه إلى الله؛ فأسلم بعضُهم، وأقام في بلاده، فلما فتح الله على رسولِه خيبرَ؛ قدم بهم في نحوٍ من ثمانينَ بيتًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[الإسراءُ والمعراجُ ودعوةُ القبائل]

وأُسري برسولِ الله ﷺ بجسَدِه – على الصحيحِ من قولي الصحابةِ والعلماءِ – من المسجدِ الحرامِ إلى بيتِ المقدسِ، راكبًا البراقَ في صحبةِ جبريلَ – عليه السلامُ –، فنزل ثَمَّ[٣]، وأمَّ بالأنبياءِ ببَيْتِ المقدسِ، فصلَّى بهم.

ثم عُرِجَ به تلك الليلةَ من هناك إلى السماءِ الدنيا، ثم التي تليها، ثم الثالثةِ، ثم الرابعةِ، ثم الخامسةِ، ثم التي تليها، ثم السابعةِ، ورأى الأنبياءَ في السماواتِ على منازِلهم، ثم عُرِجَ به إلى سدرةِ المنتهى؛ ورأى عندها جبريلَ على الصورةِ التي خَلَقه الله عليها، وفرَض اللهُ عليه الصلواتِ تلكَ الليلةَ.

ولما أصبحَ رسولُ الله ﷺ في قومِه؛ أخبرهم بما أراه اللهُ من آياتِه الكُبرى، فاشتدَّ تكذيبُهم له، وأذاهم، واستِجْراؤهم عليه.

وجعل رسولُ الله ﷺ يعرضُ نفسَه على القبائلِ أيامَ الموسمِ، ويقولُ: «**مَنْ رجلٌ يحمِلُني إلى قومِه فيمنَعُني؛ حتى أبلِّغَ رسالةَ ربي؛ فإنَّ قريشًا قد منعوني أن أبلغَ رسالةَ ربي**»[٤]. هذا؛ وعمُّه أبو لهبٍ – لعنه اللهُ – وراءَه يقولُ للناسِ: لا تسمعوا منه؛ فإنه كذابٌ!

---

(١) مُثْلة: عقوبة وتنكيل.

(٢) البخاري (٢٩٣٧، ٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤).

(٣) فنزل ثم: أي هناك.

(٤) رواه أحمد (١٤٧٧٠)، وأبوداود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥).

فكان أحياءُ العربِ يَتَحَامونَه[1]؛ لما يسمعونَ من قريشٍ فيه: إنه كاذبٌ، إنه ساحرٌ، إنه كاهنٌ، إنه شاعرٌ؛ أكاذيبُ يقذفونَه بها من تلقاءِ أنفسِهم، فيصْغِي إليهم من لا تمييزَ له من الأحياءِ.

وأما الأولياءُ؛ فإنهم إذا سمعوا كلامَه وتفهَّموه؛ شَهِدوا بأنَّ ما يقولُه حقٌّ، وأنهم مفترونَ عليه؛ فَيُسْلِمون.

[بدايةُ سماعِ الأنصارِ بالنبي ﷺ]

وكان مما صنعَ اللهُ لأنصارِه من الأوسِ والخزرجِ أنهم كانوا يسمعون من حلفائِهم من يهودِ المدينةِ: أن نبيًّا مبعوثٌ في هذا الزمنِ، ويتوعَّدونَهم به إذا حاربُوهم، ويقولون: إنا سنقتُلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرمَ، وكان الأنصارُ يحجُّون البيتَ؛ كما كانت العربُ تحجُّه، وأما اليهودُ؛ فلا.

فلما رأى الأنصارُ رسولَ الله ﷺ يدعو الناسَ إلى الله- تعالى -، ورأَوْا أماراتِ الصدقِ عليه؛ قالوا: والله هذا الذي تَوَعَّدكم يهودُ به؛ فلا يَسْبقُنَّكم إليه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[بيعةُ العقبةِ الأولى]

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ لقي عند العقبةِ في الموسمِ ستةَ نفرٍ من الأنصارِ، كلُّهم من الخزرجِ؛ وهم: أسعدُ بنُ زُرارةَ بنِ عدسٍ، وعوفُ بنُ الحارثِ بن رفاعةَ، ورافعُ بنُ مالكِ بنِ العجلانِ، وقطبةُ بنُ عامرِ بنِ حديدةَ، وعقبةُ بنُ عامرِ بنِ نابي، وجابرُ بنُ عبدِالله بن رئابٍ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلامِ، فأسلَموا مبادرةً إلى الخيرِ، ثم رجعوا على المدينةِ؛ فدعَوْا إلى الإسلامِ؛ ففشا الإسلامُ فيها؛ حتى لم تَبْقَ دارٌ إلا وقد دخَلها الإسلامُ.

---

(١) يتحامونه: يتجنبونه.

فلما كان العامُ المقبلُ؛ جاء منهم اثنا عشرَ رجلًا: الستةُ الأوائلُ - خلا جابرُ بنُ عبدِ الله بنِ رئابٍ - ومعهم: معاذُ بنُ الحارثِ بنِ رفاعةَ - أبو عوفٍ المتقدمُ -، وذكوانُ ابنُ عبدِ قيسِ بنِ خلدةَ - وقد أقام ذكوانُ هذا بمكةَ حتى هاجر إلى المدينةِ، فيقال: إنه مُهَاجِرِيٌّ أنصاريٌّ -، وعُبادةُ بنُ الصامتِ بنِ قيسٍ، وأبو عبدِ الرحمنِ؛ يزيدُ بنُ ثعلبةَ؛ فهؤلاء عشرةٌ من الخزرجِ.

واثنان من الأوسِ، وهما: أبو الهيثم مالكُ بنُ التيهّانِ، وعويمُ بنُ ساعدةَ.

فبايعوا رسولَ الله ﷺ كبيعةِ النساءِ[1]، ولم يكن أُمر بالقتالِ بعدُ.

فلما انصرفوا إلى المدينةِ؛ بعث معهم رسولُ الله ﷺ عمرَو بنَ أمِّ مكتومٍ، ومصعبَ ابن عُميرٍ: يعلمانِ من أسلمَ منهم القرآنَ، ويدعُوانِ إلى الله - عزَّ وجلَّ -، فنزلا على أبي أمامةَ؛ أسعدَ بنِ زُرارةَ، وكان مصعبُ بنُ عميرٍ يؤمُّهم، وقد جَمَّع بهم يومًا بأربعينَ نفسًا.

فأسلم على يَدَيْهما بشَرٌ كثيرٌ؛ منهم: أسيدُ بنُ الحضيرِ، وسعدُ بنُ معاذٍ، وأسلم بإسلامِهما يومئذ جميعُ بني عبدِ الأشهلِ، الرجالُ والنساءُ؛ إلا الأُصَيْرِمُ، وهو: عمرُو بنُ ثابتِ بنِ وَقْشٍ، فإنه تأخَّر إسلامُه إلى يومِ أحدٍ، فأسلم يومئذٍ، وقاتَل فقُتل قبلَ أن يَسْجُدَ لله سجدةً، فأُخبر عنه النبيُّ ﷺ، فقال: «عمل قليلًا، وأجر كثيرًا»[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أي على ما جاء في بيعة النساء التي لم تشتمل على ذكر القتال بل على ما ذكره الله في كتابه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

(٢) البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٩٠٠).

[بيعةُ العقبةِ الثانية]

وكثُر الإسلامُ بالمدينةِ وظهرَ، ثم رجعَ مصعبُ بنُ عمير إلى مكةَ، ووافى الموسِمَ ذلك العامَ خلقٌ كثيرٌ من الأنصارِ؛ من المسلمينَ والمشركينَ، وزعيم القوم البراءُ بنُ معرورٍ ﷺ.

فلما كانت ليلةُ العقبةِ - الثلثُ الأولُ منها -؛ تسلَّل إلى رسولِ الله ﷺ ثلاثةٌ وسبعون رجلًا وامرأتانِ، فبايعوا رسولَ الله ﷺ خِفْيةً من قومِهم ومن كفارِ مكةَ، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نِساءَهم وأبناءَهم.

فكان أولُ من بايعَه ليلتئذٍ البراءَ بنَ معرورٍ، وكانت له اليدُ البيضاءُ؛ إذ أكَّد العقدَ، وبادَرَ إليه.

وحضَر العباسُ عمُّ رسولِ الله ﷺ مُوَثِّقًا مؤكِّدًا للبيعةِ، مع أنه كان بعدُ على دينِ قومِه.

واختار رسولُ الله ﷺ منهم تلك الليلةَ اثنيْ عَشَرَ نقيبًا؛ تسعةً من الخَزْرجِ، ومن الأوسِ ثلاثةٌ؛ والمرأتانِ هما: أمُّ عمارةَ، نسيبةُ بنتُ كعبِ بنِ عمرٍو؛ وأسماءُ بنتُ عمرِو ابنِ عديٍّ بنِ نابي.

فلما تمت هذه البيعةُ؛ استأذنوا رسولَ الله ﷺ أن يَمِيلوا على أهلِ العقبةِ؛ فلم يأذَنْ لهم في ذلك.

بل أَذِنَ للمسلمين بعدَها من أهلِ مكةَ في الهجرةِ إلى المدينةِ، فبادرَ الناسُ إلى ذلك، فكان أولُ من خرجَ إلى المدينة من أهلِ مكةَ: أبو سلمةَ بنُ عبدِ الأسدِ هو وامرأتُه أمُّ سلمةَ، فاحتُبستْ دونَه، ومُنِعَتْ سنةً من اللحاقِ به، وحيل بينها وبين ولدِها، ثم خرجَتْ بعد السنةِ بولدِها إلى المدينةِ، وشيَّعها عثمانُ بنُ أبي طلحةَ.

ثم خرج الناس أرسالًا[١]، يتبع بعضُهم بعضًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أرسالًا: جماعات.

[هجرة النبيّ ﷺ]

ولم يبقَ بمكةَ من المسلمين إلا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعليٌّ - رضي اللهُ تعالى عنهما -، أقاما بأمرِه لهما، وإلا من اعتقَله المشركون كُرهًا.

وقد أعدَّ أبو بكرٍ ﷺ جِهَازَه وجِهَازَ رسولِ الله ﷺ، منتظرًا حتى يأذنَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - لرسولِه ﷺ في الخروجِ، فلما كانت ليلةٌ؛ هَمَّ المشركونَ بالفتْكِ برسولِ الله ﷺ، وأرصَدُوا على البابِ أقوامًا، إذا خرجَ عليهم قتلوه، فلما خرج عليهم؛ لم يرهُ منهم أحدٌ.

ثم خَلَصَ(١) إلى بيتِ أبي بكرٍ ﷺ، فَخَرَجا من خَوْخَةٍ(٢) في دارِ أبي بكرٍ ليلًا، وقد استأجَرا عبدَ الله بنَ أُرَيْقِطٍ؛ وكان هاديًا خرِّيتًا(٣)، ماهرًا بالدلالةِ إلى أرضِ المدينةِ، وأَمِناه على ذلك؛ مع أنَّه كان على دينِ قومِه، وسَلَّما إليه راحِلَتَيْهما، وواعَدَاه غارَ ثورٍ بَعْدَ ثلاثٍ.

فلما حَصَلا في الغارِ؛ عمَّى اللهُ على قريشٍ خَبَرَهما، فلم يَدْروا أين ذهبا.

وكان عامرُ بنُ فهيرةَ يُريحُ(٤) عليهما غنمًا لأبي بكرٍ، وكانت أسماءُ ابنةُ أبي بكرٍ تحملُ لهما الزادَ إلى الغارِ، وكان عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ يتسمَّعُ ما يقالُ بمكةَ، ثم يذهبُ إليهما بذلك، يحترزانِ منه.

وجاء المشركونَ في طلبِهما إلى ثورٍ، وما هناك من الأماكنِ، حتى إنهم مروا على بابِ الغارِ، وحازتْ أقدامُهم رسولَ الله ﷺ وصاحِبَه، وعمَّى اللهُ عليهم بابَ الغارِ.

فذلك تأويلُ قولِه - تعالى -: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وذلك أن أبا بكرٍ - رضي اللهُ تعالى عنه- لشِدَّةِ حرصِه؛ بكَى حين مرَّ المشركونَ،

---

(١) خَلَص: وصل.

(٢) خوخة: كوَّة في البيت تؤدي إلى الضوء.

(٣) خرِّيتًا: الدليل الحاذق.

(٤) يريح: يردُّ ويوجِّه.

وقال: يا رسولَ الله! لو أن أحدَهم نَظَر موضِعَ قدمَيْهِ لرآنا! فقال له النبي ﷺ: «**يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[(١)].

ولما كان بعدَ الثلاثِ؛ جاءهما ابنُ أُرَيْقِطٍ بالراحلتينِ فركباهما، وأردفَ أبو بكرٍ عامرَ بنَ فُهَيرةَ، وسار الدِّيليُّ[(٢)] أمامَهما على راحلتِه.

وجعلَتْ قريشٌ لمن جاء بواحدٍ من محمدٍ ﷺ وأبي بكرٍ ؓ مائةً من الإبلِ، فلما مَرّوا بحيِّ مُدْلِجٍ؛ بَصُرَ بهم سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشَم: سيدُ مُدْلِجٍ، فركبَ جوادَه، وسار في طَلَبِهم، فلما قَرُبَ منهم، وسمِعَ قراءةَ النبيِّ ﷺ، وأبو بكرٍ ؓ يُكثِرُ الالتفاتَ؛ حَذَرًا على رسولِ الله ﷺ، وهو ﷺ لا يلتفتُ، فقال أبو بكرٍ يا رسولَ الله! هذا سراقةُ بنُ مالكٍ قد رَهَقَنا[(٣)].

فَدَعَا عليه رسولُ الله ﷺ؛ فساخَتْ[(٤)] يَدَا فَرَسِه في الأرضِ، فقال: قد علمتُ أن الذي أصابني بدعائِكما، فادعُوَا اللهَ لي؛ ولكما علي أن أردَّ الناسَ عنكما، فدعا له رسولُ الله ﷺ، فأُطْلِقَ، وسأل رسولَ الله ﷺ أن يكتُبَ له كتابًا، فكتبَ له أبو بكرٍ في أديمٍ[(٥)]، ورجع يقولُ للناسِ: قد كُفيتم ما هَهُنا.

وقد جاء مسلمًا عامَ حجةِ الوداعِ، ودفعَ إلى رسولِ الله ﷺ الكتابَ الذي كتَبه له، فوفَّى له رسولُ الله ﷺ بما وعدَه، وهو لذلك أهلٌ.

ومَرَّ رسولُ الله ﷺ في مسيرِه ذلك بخَيْمتَيْ أمِّ معبدٍ، فقالَ عندها[(٦)]، ورأَتْ من آياتِ نبوتِه في الشاةِ وحَلْبِها لبنًا كثيرًا في سَنَةٍ مُجْدِبةٍ ما بَهَرَ العقولَ ﷺ.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) الديليُّ: هو ابن أريقط نفسه نسبة إلى بني الدِّيل.

(٣) رهقنا: لحقنا.

(٤) ساخت: غاصت.

(٥) أديم: جلد.

(٦) قال عندها: استراح وقت القيلولة.

[دخوله ﷺ المدينة]

وقد كان بلغَ الأنصارَ مخرجُه من مكةَ وقَصْدُه إياهم، فكانوا كلَّ يومٍ يخرجُون إلى الحَرَّةِ(١) ينتظرونه، فلما كان يومُ الإثنينِ الثاني عشرَ من ربيعِ الأولَ على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً من نبوتِه ﷺ؛ وافَاهم رسولُ الله ﷺ حينَ اشتدَّ الضُّحى، وكان قد خرج الأنصارُ يومئذٍ، فلما طالَ عليهم؛ رَجعوا إلى بيوتِهم.

فكان أولُ من بَصُر به رجلٌ من اليهودِ – وكان على سطحِ أُطْمِة(٢) – فنَادى بأعلى صوتِه: يا بني قَيْلَةَ(٣)! هذا جَدُّكُم(٤) الذي تنتظرونَ! فخرج الأنصارُ في سِلَاحِهم، فَتَلَقَّوْه وحَيَّوْه بتحيةِ النبوةِ.

ونزلَ رسولُ الله ﷺ بِقُباءَ على كلثومِ بنِ الهدمِ، وقيل: بل على سعدِ بنِ خيثمةَ، وجاء المسلمونَ يسلِّمون على رسولِ الله ﷺ، وأكثرُهم لم يره بعدُ، فكان بعضُهم أو أكثرُهم يظنُّه أبا بكرٍ؛ لكثرةِ شيبِه، فلما اشتدَّ الحرُّ؛ قام أبو بكرٍ بثوبٍ يظلِّلُ على رسولِ الله ﷺ، فتحقَّقَ الناسُ حينئذٍ رسولَ الله ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[استقرارُه ﷺ بالمدينةِ وتاريخ المسجد النبوي]

فأقامَ رسولُ الله ﷺ بقُباءَ أيامًا، وقيل: أربعةَ عشرَ يومًا، وأسسَ حينئذٍ مسجدَ قُباءَ، ثم ركبَ بأمرِ الله تعالى له، فأدركَتْه الجمُعةُ في بني سالمِ بنِ عوفٍ، فصلَّاها في المسجدِ الذي في بطنِ وادي رانونا(٥).

---

(١) الحرة: أرض بالمدينة ذات حجارة سوداء.

(٢) أطمة: بناء مرتفع كالحصن والجمع آطام.

(٣) بنو قيلة: اسم للأوس والخزرج.

(٤) جدُّكم: حظكم.

(٥) وادي رانونا: وادٍ بين المدينة وقباء.

ورغِبَ إليه أهلُ تلك الدارِ أن ينزلَ عليهم، فقال: «دعُوها؛ فإنها مأمورة»[١] فلم تزلْ ناقتُه سائرةً به، لا تمرُّ بدارٍ من دورِ الأنصارِ إلا رغِبوا إليه في النزولِ عليهم، فيقول: «دعوها؛ فإنها مأمورة».

فلما جاءتْ موضِعَ مسجِدِه اليومَ؛ بركَتْ، ولم ينزلْ عنها ﷺ حتى نهضَتْ وسارتْ قليلًا، ثم التفتَتْ ورجعتْ فبركَتْ في موضِعِها الأولِ، فنزل عنها ﷺ، وذلك في دارِ بني النجارِ، فحمَلَ أبو أيوبٍ ﷺ رحْلَ رسولِ الله ﷺ إلى منزلِه.

واشترى رسولُ الله ﷺ موضِعَ المسجِدِ، وكان مربدًا[٢] ليتيمينِ، وبناه مسجدًا، فهو مسجدُه الآن، وبُني لآلِ رسولِ الله ﷺ حُجَرٌ إلى جانِبِه.

وأما عليٌّ ﷺ؛ فأقام بمكةَ ريثما أدى عن رسولِ الله ﷺ الودائِعَ التي كانت عندَه وغيرَ ذلك، ثم لحِقَ برسولِ الله ﷺ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[موادعةٌ وإخاء]

ووادَعَ رسولُ الله ﷺ مَنْ بالمدينةِ مِن اليهودِ، وكتبَ بذلك كتابًا، وأسلَم حَبْرهم، عبدُ الله بنُ سَلامٍ ﷺ، وكفر عامتُهم، وكانوا ثلاثَ قبائلَ: بنو قَينُقَاعٍ، وبنو النضيرِ، وبنو قُريظةَ.

وآخى رسولُ الله ﷺ بين المهاجرينَ والأنصارِ، فكانوا يتوارثونَ بهذا الإخاءِ في ابتداءِ الإسلامِ إرثًا مقدَّمًا على القرابةِ.

وفرَضَ اللهُ – سبحانه وتعالى – الزكاةَ إذْ ذاك؛ رفقًا بفقراءِ المهاجرينَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) المعجم الأوسط (٤/ ٣٥)، وسعيد بن منصور (١/ ٤٠٠).

(٢) مربد: موقف الإبل ومحبسها.

[فرضُ الجهادِ]

ولما استقرَّ رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ بين أظهرِ الأنصارِ، وتكفَّلوا بنصرِه ومنْعِهِ من الأسودِ والأحمرِ؛ رمتْهم العربُ قاطبةً عن قوسٍ واحدةٍ، وتعرَّضوا لهم من كلِّ جانبٍ.

وكان اللهُ - سبحانه - قد أَذِنَ للمسلمين في الجهادِ في سورةِ الحجِّ وهي مكيةٌ - في قولِه تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

ثم لما صاروا في المدينةِ، وصارت لهم شَوْكَةٌ وعَضُدٌ؛ كتبَ الله عليهم الجهادَ؛ كما قال اللهُ تعالى في سورةِ البقرةِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[أهمّ المغازي والبعوث]

بَعْثُ عبيدةَ بنِ الحارثِ بنِ المطلبِ:

بعث ﷺ عبيدةَ بنَ الحارثِ بنِ المطلبِ في ربيعِ الآخرِ في ستينَ - أو ثمانينَ - راكبًا من المهاجرينَ إلى ماءٍ بالحجازِ بأسفلِ ثَنِيَّةِ المَرَةِ(١)، فلقوا جمعًا عظيمًا من قريشٍ، عليهم عكرمةُ بنُ أبي جهلٍ، وقيل: بل كان عليهم مِكْرِزُ بنُ حفْصٍ، فلم يكن بينهم قتالٌ.

إلا أنَّ سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ رشَقَ المشركينَ يومئذٍ بسهمٍ، فكان أولَ سهمٍ رُمي به في سبيلِ الله، وفرَّ يومئذٍ من الكفارِ إلى المسلمينَ المقدادُ بنُ عمرٍو الكنديُّ، وعتبةُ بنُ غَزْوانَ - رضي الله عنهما -.

غزوةُ العُشَيرَةِ:

ويقال: بالسينِ المهملةِ، ويقال: العُشَيْراءُ.

خرجَ بنفسِه ﷺ في أثناء جُمادى الأولى حتى بلغَها، وهي: مكانٌ ببطنِ يَنْبُع(٢)، وأقام هناك بقيةَ الشهرِ، وليالي من جُمادى الآخِرَةِ، وصالحَ بني مُدْلِجٍ، ثم رجع ولم يلْقَ كيْدًا.

---

(١) ثنية المَرَة: موضع قريب من الجُحْفة.

(٢) ينبع: قرية كبيرة على سبع مراحل من المدينة من جهة البحر.

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديثِ أبي إسحاقَ السَّبيعيِّ؛ قال: قلتُ لزيدِ بنِ أرقمَ: كم غَزَا رسولُ الله ﷺ؟ قال: تسعَ عشرةَ غزوةً، أولها العُسَيْر أو العُشَير.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[بعثُ عبدِ اللهِ بنِ جَحْشٍ]

وبعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ جحشِ بن رئابٍ الأسديَّ، وثمانيةً من المهاجرين، إلى نخلةٍ ليعلمَ له أخبارَ قريشٍ، وَنَفَذَ عبدُ الله بنُ جحشٍ حتى نزلَ بنخلةٍ، فمرت به عِيرٌ لقريشٍ تحمِلُ زبيبًا وأُدْمًا(٢) وتجارةً، فيها عمرُو بنُ الحضْرميّ وعثمانُ ونوفلٌ ابنا عبدِ الله بنِ المغيرةِ، والحكمُ بنُ كيسانَ مولى بني المغيرةِ.

فتشاورَ المسلمونَ، وقالوا: نحنُ في آخرِ يومٍ من رجبٍ؛ الشهرِ الحرامِ، فإنْ قاتلناهم؛ انتهكْنَا الشهرَ الحرامَ، وإن تركْنَاهم الليلةَ؛ دخلوا الحرمَ، ثم اتفقوا على مُلاقَاتهم، فرمى أحدُهم عمرَو بنَ الحضرميِّ فقتَلَه، وأسروا عثمانَ والحكمَ، وأفلَت نوفلٌ.

ثم قَدِموا بالعيرِ والأسيرينِ قد عَزَلوا من ذلك الخُمْسَ، فكانت أولَ غنيمةٍ في الإسلامِ، وأولَ خُمسٍ في الإسلامِ، وأولَ قتيلٍ في الإسلامِ، وأولَ أسيرٍ في الإسلامِ.

إلا أن رسولَ الله ﷺ أنكرَ عليهم ما فَعَلوه.

وقد كانوا - رضي الله عنهم - مجتهدينَ فيما صَنَعوا.

واشتدَّ تعنتُ قريشٍ، وإنكارُهم ذلك، وقالوا: محمدٌ قد أحلَّ الشهرَ الحرامَ؛ فأنزل اللهُ - عزَّ وجلَّ - في ذلك: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقولُ - سبحانه-: هذا الذي وقَعَ وإن كان خطأً؛ لأنَّ القتالَ في الشهرِ الحرامِ كبيرٌ عندَ الله؛ إلا أنَّ ما أنتم عليه أيها المشركونَ من الصَّدِّ عن سبيلِ الله، والكفرِ به وبالمسجدِ الحرامِ، وإخراجِ محمدٍ وأصحابِه الذين هم أهلُ المسجدِ الحرامِ في الحقيقةِ أكبرُ عند الله

(١) مسلم (١٢٥٤).

(٢) أدمًا: إدامًا وهو الطعام الذي يؤكل بالخبز.

من القتالِ في الشهرِ الحرام.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ قَبِلَ الخمسَ من تلك الغنيمةِ، وأخذ الفداءَ من ذَيْنَك الأسيرينِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[تحويلُ القبلةِ وفرضُ الصومِ]

وفي شعبانَ من هذه السنةِ حُوِّلَت القبلةُ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ، وذلك على رأسِ ستةَ عشرَ شهرًا من مَقْدمِه المدينةَ، وقيل: سبعةَ عشرَ شهرًا، وهما في «الصحيحينِ»[(١)].

وفُرِضَ صومُ رمضانَ، وفُرِضت لأَجْلِه زكاةُ الفطرِ قبله بيومٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ بدرٍ الكبرى]

يُذكَرُ فيه مُلَخَّصُ، وقعةِ بدرٍ الثانيةِ، وهي الوقعةُ العظيمةُ التي فرقَ الله فيها بين الحقِّ والباطلِ، وأعزَّ الإسلامَ، ودمغَ الكفرَ وأهلَه.

وذلك أنه لما كان في رمضانَ من هذه السنةِ الثانيةِ بلغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ عيرًا مقبلةً من الشامِ صُحْبةَ أبي سفيانَ صخرِ بنِ حربٍ، في ثلاثينَ أو أربعينَ رجلًا من قريشٍ، وهي عيرٌ عظيمةٌ، تحمِلُ أموالًا جزيلةً لقريشٍ، فندبَ ﷺ الناسَ للخروجِ إليها، وأمرَ من كان ظهرُه حاضرًا بالنهوضِ، ولم يحتَفِلْ لها احتفالًا كثيرًا؛ إلا أنه خرجَ في ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا، لثمانٍ خَلَوْنَ من رمضانَ، واستخلَفَ على المدينةِ وعلى الصلاةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ، فلما كان بالروْحَاءِ[(٢)]؛ ردَّ أبا لبابةَ بنَ عبدِ المنذرِ واستعملَه على المدينةِ.

ولم يكنْ معه من الخيلِ سوى فرسٍ للزبيرِ وفرسٍ للمقدادِ بنِ الأسودِ الكنديِّ، ومن الإبلِ سبعونَ بعيرًا يَعْتَقِبُ[(٣)] الرجلانِ والثلاثةُ فأكثر على البعيرِ الواحدِ، ودفعَ ﷺ اللواءَ إلى مصعبِ بنِ عميرٍ، والرايةَ الواحدة إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ، والرايةَ الأخرى

---

(١) البخاري (٣٩٩، ٤٤٩١)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) الروحا: قرية على ليلتين من المدينة.

(٣) يعتقب: يتناوب.

إلى رجلٍ من الأنصارِ، وكانت رايةُ الأنصارِ يومئذٍ بيدِ سعدِ بنِ معاذٍ، وجعل على الساقةِ قيسَ بنَ أبي صَعْصَعَةَ.

وسار ﷺ فلما قَرُبَ من الصفراءِ[1]؛ بعثَ إلى بدرٍ رجلين يتحسَّسَانِ أخبارَ العيرِ.

وأما أبو سفيانَ؛ فإنه بلغَه مخرجُ رسولِ الله ﷺ وقصدُه إياه؛ فاستأجرَ ضمضَمَ بنَ عمرٍو الغفاريَّ إلى مكةَ، مُسْتَصْرِخًا لقريشٍ بالنفيرِ إلى عيرِهم؛ ليمنعوه من محمدٍ وأصحابِه.

وبلغ الصريخُ أهلَ مكةَ؛ فنهضوا مسرعينَ، وأوعَبوا[2] في الخروجِ، ولم يتخلفْ من أشرافِهم أحدٌ سوى أبي لهبٍ، وحَشَدوا ممن حولهم من قبائلِ العربِ، وخرجوا من ديارِهم؛ كما قال الله – عزَّ وجلَّ – ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وأقبلوا في تجملٍ وحَنَقٍ[3] عظيمٍ على رسولِ الله ﷺ وأصحابِه.

فجَمَعَهم الله على غيرِ ميعادٍ؛ لما أرادَ في ذلك من الحكمةِ؛ كما قال – تعالى –: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولما بلغ رسولَ الله ﷺ خروجُ قريشٍ؛ استشار أصحابَه، فتكلَّم كثيرٌ من المهاجرينَ فأحسَنوا، ثم اسْتَشَارهم – وهو يريدُ ما يقولُ الأنصارُ –، فبادرَ سعدُ بنُ معاذٍ – رضي اللهُ تعالى عنه –، فقال: يا رسولَ الله! كأنك تُعَرِّضُ بنا؛ فوالله يا رسولَ الله! لو استَعْرَضْتَ بنا هذا البحْرَ؛ لـخُضْناه معكَ، فَسِرْ بنا يا رسولَ الله! على بركةِ الله؛ فسُرَّ ﷺ بذلك، وقال: «سيروا وأبشروا؛ فإنَّ الله قد وَعدني إحدى الطائفتين»[4].

ثم رحَلَ رسولُ الله ﷺ، فنزل قريبًا من بدرٍ، وركبَ ﷺ مع رجلٍ من أصحابِه مستخبرًا، ثم انصرفَ، فلما أمسَى؛ بعث عليًّا وسعدًا والزبيرَ إلى ماءِ بدرٍ؛ يلتمسونَ الخبرَ، فَقَدِموا بعبدينِ لقريشٍ، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلِّي، فسألهما أصحابُه: لمن أنتما؟ فقالا: نحن سقاةٌ لقريشٍ.

---

(١) الصفراء: وادٍ بالمدينة.

(٢) أوعبوا: أي خرجوا كلهم في الغزو.

(٣) حنق: غيظ وحقد.

(٤) ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٥٠٧).

فلما انصرف رسولُ الله ﷺ من صلاتِه؛ قال لهما: «أخبراني أين قريشٌ؟»، قالا: وراءَ هذا الكثيبِ، قال: «كم القومُ؟»، قالا: لا علمَ لنا، فقال: «كم ينحرونَ كلَّ يومٍ؟»، فقالا: يومًا عشرًا، ويومًا تسعًا، فقال ﷺ: «القومُ ما بين التسعمائةِ إلى الألفِ»[١].

أما أبو سفيانَ فقد عدَلَ بالعيرِ إلى طريقِ الساحلِ؛ فَنَجَا، وبعثَ إلى قريشٍ يُعْلِمُهم أنه قد نَجَا هو والعيرُ، ويأمرُهم أن يَرْجِعوا.

وبلغَ ذلك قريشًا، فأبى ذلك أبو جَهْلٍ، وقال: والله؛ لا نرجِعُ حتى نَرِدَ ماءَ بدرٍ، ونقيمَ عليه ثلاثًا، ونشربَ الخمْرَ، وتضربَ على رؤوسِنا القيانُ، فَتَهابَنَا العربُ أبدًا.

فبادر ﷺ قريشًا إلى ماءِ بدرٍ، ونزل على أدنى ماءٍ هناك، فقال له الحُبَابُ بنُ عمرٍو: يا رسولَ الله ! هذا المنزلُ الذي نزلتَه: أمرك اللهُ به، أو منزلٌ نزلْتَه للحربِ والمكيدةِ؟ فقال: «بل منزلٌ نزلتُه للحربِ والمكيدةِ» فقال: ليس هذا بمنزلٍ، فانهضْ بنا حتى نأتِيَ أدنى ماءٍ من مياهِ القومِ فننزله، ونغوِّرُ[٢] ما وراءَنا من القُلُبِ[٣]، ثم نبني عليه حوضًا فنملؤُه، فنشربُ ولا يشربونَ، فاستحسَنَ رسولُ الله ﷺ منه ذلك.

وحال اللهُ بين قريشٍ وبين الماءِ بمطرٍ عظيمٍ أرسلَه؛ فكان نقمةً على الكفارِ، ونعمةً على المسلمين؛ مَهَّد لهمُ الأرضَ ولبَّدَها[٤].

وبُنِيَتْ لرسولِ الله ﷺ عريشٌ يكونُ فيها.

ومشى ﷺ في موضعِ المعركةِ، وجعلَ يُريهم مصارعَ رؤوسِ القومِ واحدًا واحدًا، يقولُ: «هذا مصرعُ فلانٍ غدًا - إن شاء الله -، وهذا مصرعُ فلانٍ، وهذا مصرعُ فلانٍ»[٥]، قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: فوالذي بعثَه بالحقِّ؛ ما أخطأَ واحدٌ منهم موضِعَه الذي أشار إليه رسولُ الله ﷺ.

---

(١) دلائل النبوة (٣/ ٣٤).

(٢) نغوِّر: ننزح.

(٣) القلب: جمع قليب وهو البئر.

(٤) لبدها: جعل ترابها ملتصقًا بعضه ببعض فلا تسوخ فيها الأرجل.

(٥) مسلم (١٧٧٩).

وبات رسولُ الله ﷺ تلك الليلةَ يصلِّي إلى جِذْمِ شجرةٍ[١] هناك، وكانت ليلةَ الجمعةِ السابعَ عشرةَ من رمضانَ، فلما أصبح وأقبلتْ قريشٌ في كتائبِها؛ قال ﷺ: «**اللهم! هذه قريشٌ قد أقبلتْ في فخرِها وخُيَلَائِها، تُحادّك وتحادّ رسولَك**»[٢].

ورام حكيمُ بنُ حزامٍ وعتبةُ بنُ ربيعةَ أن يرجِعَا بقريشٍ ولا يكونُ قتالٌ، فأبى ذلك أبو جهلٍ.

وعدّل رسولُ الله ﷺ الصفوفَ، ثم رجع إلى العريشِ هو وأبو بكرٍ وحدَه، وقام سعدُ بنُ معاذٍ وقومٌ من الأنصارِ على بابِ العريشِ يحمُون رسولَ الله ﷺ.

وخرج عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ، والوليدُ بنُ عتبةَ، ثلاثتُهم جميعًا يطلبون البِرازَ، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثةٌ من الأنصارِ، وهم: عوفٌ ومعوِّذٌ ابنا عفراءَ، وعبدُ الله ابنُ رواحةَ، فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصارِ، فقالوا: أكفاءٌ كرامٌ، وإنما نريدُ بني عَمِّنا، فبرزَ لهم عليٌّ وعبيدةُ بنُ الحارثِ وحمزةُ - رضي الله عنهم -، فقتلَ عليٌّ الوليدَ، وقتل حمزةُ عتبةَ، وقيل: شيبةَ، واختلف عبيدةُ وقِرْنَه[٣] بضربتينِ، فأجهدَ كلٌّ منهما صاحِبَه، فكَرَّ حمزةُ وعليٌّ عليه؛ فتمَّما عليه، واحتملا عبيدةَ، وقد قُطِعَتْ رجلُه، فلم يزل طَمْثًا[٤]؛ حتى ماتَ بالصفراءِ[٥] - رحِمَه الله تعالى -، ورضي اللهُ عنه.

ثم حَمِيَ الوطيسُ[٦]، واشتدَّ القتالُ، ونزل النصرُ، واجتهدَ رسولُ الله ﷺ في الدعاءِ، وابتهلَ ابتهالًا شديدًا؛ حتى جعلَ رداؤُه يسقُطُ عن مَنْكِبَيْهِ، وجعلَ أبو بكرٍ يُصْلِحُه عليه، ويقولُ: يا رسولَ الله! بعْضَ مناشدتِك ربَّك؛ فإنه مُنجزٌ لك ما وعَدَك، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «**اللهم! إن تَهْلك هذه العِصابةُ؛ لا تُعبدُ في الأرضِ**»؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(١) جذم شجرة: أصل شجرة.
(٢) دلائل النبوة (٣/ ١١٠).
(٣) قرنه: نظيره وكفؤه في الشجاعة.
(٤) طمثًا: فاسد الجرح.
(٥) الصفراء: واد كثير النخل والزرع بالمدينة.
(٦) حمي الوطيس: أي جدّت الحربُ واشتدت.

[الأنفال: ٩].

ثم أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءةً، ثم رفع رأسه، وهو يقول: «أبشر يا أبا بكر! هذا جبريلُ على ثَنَاياه النقعُ»(١).

وكان الشيطان قد تَبَادى لقريشٍ في صورةِ سراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشَمٍ زعيمِ مُدْلِجٍ، فأجارَهم، وزيَّن لهم الذهابَ على ما هم فيه؛ وذلك أنهم خَشوا بني مُدْلِجٍ أن يَخْلفُوهم في أهاليهم وأموالهم؛ فذلك قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وذلك أنَّه رأى الملائكة حين نزلتْ للقتالِ، ورأى ما لا قِبَلَ له به؛ فَفَرَّ، وقاتَلَتِ الملائكةُ كما أمرَها اللهُ، وكان الرجلُ من المسلمينَ يطلبُ قِرْنَه، فإذا به قد سَقَطَ أمامَه.

ومنحَ الله المسلمينَ أكتافَ المشركين، فكان أولُ من فرَّ منهم: خالدُ بنُ الأعلمِ؛ فأُدرِكَ؛ فأُسِرَ، وتَبِعَهم المسلمونَ في آثارِهم، يَقْتُلونَ ويأسِرونَ، فقتلوا منهم سبعينَ وأسروا سبعينَ، وأخذوا غَنَائِمَهم.

فكانَ من جملةِ من قُتِلَ من المشركينَ ممن سمَّى رسولُ الله ﷺ موضِعَه بالأمسِ: أبو جهلٍ، وهو أبو الحكمِ عمرُو بنُ هشام - لعنه الله - قتله معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجموحِ ومُعَوِّذُ بنُ عفراءَ، وتَـمَّم عليه عبدُ الله بنُ مسعودٍ. وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ، والوليدُ بنُ عتبةَ، وأميةُ بنُ خَلَفٍ، فأمرَ بهم رسولُ الله ﷺ فسُحبوا إلى القليبِ، ثم وقفَ عليهم ليلًا، فبكَّتَهم وقَرَّعَهم، فقال: «بئسَ عشيرةُ النبيِّ كنتم لنبيِّكم؛ كذَّبتموني وصَدَّقني الناسُ، وخَذَلتموني ونَصَرَني الناسُ، وأخرَجْتُموني وآواني الناسُ»(٢).

ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالعَرْصَةِ(٣) ثلاثًا.

ثم ارتحلَ بالأَسَارى والمغانِمِ، وقد جعلَ عليها عبدَ الله بنَ كعبِ بنِ عمرِو النَّجاريَّ.

وأنزل الله في غزوةِ بدرٍ سورةَ الأنفالِ.

---

(١) دلائل النبوة (٣/ ٨٠).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٦١٩).

(٣) العرصة: الساحة التي وقعت فيها غزوة بدر.

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ استشار أصحابَه في الأَسَارى: ماذا يصنعُ بهم؟ فأشار عمرُ ابنُ الخطابِ ﷺ بأن يُقْتَلوا، وأشار أبو بكرٍ ﷺ بالفِدَاءِ، وهوي رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، فَحَلَّل لهم ذلك.

وعاتبَ الله – سبحانه – في ذلك بعضَ المعاتبةِ في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

فجعل رسول الله ﷺ فِدَاءَهم أربعمائةً أربعمائةً.

ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ مظفَّرًا منصورًا، قد أعلى الله كلمتَه، ومكَّن له، وأعزَّ نَصْرَه؛ فأسلمَ حينئذٍ بشرٌ كثيرٌ من أهلِ المدينةِ، ومن ثَمَّ دخلَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ بنِ سلولٍ وجماعتُه من المنافقين في الدينِ تَقِيَّةً(١).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[عدةُ أهلِ بدرٍ]

جملةُ من حضَر بدرًا من المسلمين: ثلاثُمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا؛ من المهاجرينَ ستةٌ وثمانونَ رجلًا، ومن الأَوْسِ أحدٌ وستونَ رجلًا، ومن الخزرجِ مائةٌ وسبعونَ رجلًا.

وأما المشركونَ؛ فكانت عِدَّتُهم كما قال ﷺ: «**ما بين التسعمائةِ إلى الألفِ**».

وقُتل من المسلمينَ يومئذٍ أربعةَ عشَرَ رجلًا: ستةٌ من المهاجرينَ، وستةٌ من الخزرجِ، واثنانِ من الأوسِ.

وقُتل من المشركين سبعونَ، وأُسِرَ منهم مثلُ ذلك أيضًا.

وفَرَغَ رسول الله ﷺ من شأنِ بدرٍ والأسرى في شوالٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ بني قَيْنُقَاع]

ونقضَ بنو قينُقاعٍ – أحدُ طوائفِ اليهودِ بالمدينةِ – العهدَ، وكانوا تجارًا وصاغةً،

---

(١) تقيَّةً: خوفًا وتحرزًا من القتل. ومن هذا الوقت ظهر النفاق، وبرز المنافقون على الساحة.

وكانوا نحوَ السبعمائةِ مقاتلٍ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ لحصارِهم، واستخلفَ على المدينة بشيرَ بن عبدِ المنذرِ، فحاصَرَهم ﷺ خمسَ عشرَة ليلةً، فَنزلوا على حُكمِه ﷺ.

فشَفَعَ فيهم عبدُ الله بنُ أبيٍّ بنِ سلولٍ؛ لأنهم كانوا حلفاءَ الخزرجِ - وهو سيدُ الخزرجِ -، فَشَفَّعه فيهم بعد ما ألحَّ على رسولِ الله ﷺ، وكانوا في طرفِ المدينةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ أحدٍ]

وهي وقعةٌ امتحنَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - فيها عبادَه المؤمنينَ، واختبرَهم، وميَّزَ بها بين المؤمنينَ والمنافقينَ.

وذلك أن قريشًا حين قتل اللهُ سَراتَهم[١] ببدرٍ، وأُصِيبوا بمصيبةٍ لم تكنْ لهم في حساب. شَرَعَ أبو سفيانَ يجمِّعُ قريشًا، ويؤلِّبُ على رسولِ الله ﷺ وعلى المسلمينَ، فَجَمَّع قريبًا من ثلاثةِ آلافٍ من قريشٍ والحلفاءِ والأحابيشِ[٢].

وجاءوا بنسائِهم؛ لئلا يَفِروا، ثم أقبلَ بهم نحوَ المدينةِ، فنزل قريبًا من جبلِ أحدٍ بمكانٍ يقال له: عَيْنَيْنِ[٣]، وذلك في شوالٍ من السنةِ الثالثةِ.

واستشار رسولُ الله ﷺ أصحابَه: أيخرجُ إليهم، أم يمكُثُ في المدينةِ؟ فبادرَ جماعةٌ من فُضلاءِ الصحابةِ ممن فاته الخروجُ يومَ بدرٍ إلى الإشارةِ بالخروجِ إليهم، وألَحّوا عليه ﷺ في ذلك، وأشار عبدُ الله بنُ أبيّ بنِ سلولٍ بالمقامِ بالمدينةِ، وتابعه على ذلك بعضُ الصحابةِ، فألَحَّ أولئك على رسولِ الله ﷺ، فنهضَ ودخل بيتَه، ولبِسَ لأْمَتَه[٤]، وخرج عليهم، وقد انثنى عزمُ أولئك، فقالوا: يا رسولَ الله! إن أحببتَ أن تمكُثَ في المدينةِ؛ فافعلْ، فقال: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبِسَ لأمتَه أن يضعَها حتى يقاتِلَ**»[٥].

---

(١) سراتهم: قادتهم وعظماؤهم.

(٢) الأحابيش: قوم من قريش نسبوا إلى جبل بمكة يقال له: حبشي.

(٣) عينين: جبل صغير، وهو جبل الرماة المعروف.

(٤) لأمته: درعه وسلاحه.

(٥) أحمد (١٤٣٧٣).

وأُتي - عليه الصلاةُ والسلامُ - برجلٍ من بني النجارِ، فصلَّى عليه، وذلك يومَ الجمعةِ، واستخلفَ على المدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ.

وخرج إلى أُحدٍ في ألفٍ، فلما كان ببعضِ الطريقِ؛ انخزَل عبدُ الله بنُ أبيٍّ في نحو ثلاثمائةٍ إلى المدينةِ.

واستقَلَّ رسولُ الله ﷺ بمنْ بقيَ معه حتى نزل شِعْبَ أُحدٍ في عُدْوةِ الوادي إلى الجبلِ، فجعل ظهرَه إلى أحدٍ، ونهى الناسَ عن القتالِ حتى يأمُرَهم، فلما أصبحَ؛ تعبَّأَ - عليه الصلاةُ والسلامُ - للقتالِ في أصحابِه، وكان فيهم خمسونَ فارسًا، واستعمَلَ على الرُّماةِ - وكانوا خمسين - عبدَ الله بنَ جبيرٍ الأوسيَّ، وأمرَه وأصحابَه أن لا يتغيَّروا من مكانِهم، وأن يحفَظُوا ظهورَ المسلمينَ؛ أن يُؤتوا من قِبَلِهم. وظاهرَ ﷺ يومئذٍ بين درعينِ[1].

وأعطى اللواءَ مصعبَ بنَ عميرٍ؛ أخا بني عبدِ الدارِ، وجعل على إحدى الـمُجَنِّبَتَيْنِ[2]: الزبيرَ بنَ العوامِ، وعلى الـمُجَنِّبةِ الأُخرى: المنذرَ بنَ عمرٍو.

واستعرضَ الشبابَ يومئذٍ؛ فأجازَ بعضَهم، وردَّ آخرين، فكان ممن أجازَ: سمُرةُ ابنُ جُنْدُبٍ، ورافعُ بنُ خُدَيْجٍ، ولهما خمسَ عشرةَ سنةً.

وتَعَبَّأَت قريشٌ - أيضًا - وهم في ثلاثةِ آلافٍ - كما ذكرنا -، فيهم مِئَتَا فارسٍ، فجعَلوا على ميمنَتِهم خالدَ بنَ الوليدِ، وعلى الميسرةِ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ.

وكان شِعَارُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يومئذ: أَمِتْ أَمِتْ.

وأبلى يومئذٍ أبو دُجانةَ؛ سِماكُ بنُ خرشَةَ، وحمزةُ عمُّ رسولِ الله ﷺ؛ أسدُ الله وأسدُ رسولِه - رضي اللهُ عنه وأرضاه - وكذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وجماعةٌ من الأنصارِ؛ منهم: النضرُ بنُ أنسٍ، وسعدُ بنُ الربيعِ - رضي الله عنهم جميعِهم -.

فكانت الدولةُ أولَ النهارِ للمسلمينَ على الكفارِ، فانهزموا راجعينَ؛ حتى وصَلُوا إلى نسائِهم.

فلما رأى ذلك أصحابُ عبدِ الله بنِ جُبيرٍ؛ قالوا: يا قومُ! الغنيمةَ الغنيمةَ!

---

(١) ظاهر بين درعين: لبس أحدهما على الآخر.

(٢) المجنبتين: جناحا الجيش.

فذكَّرهم عبدُ الله بنُ جبيرٍ تقديمَ رسولِ الله[١] ﷺ إليهم في ذلك، فظنوا أن ليس للمشركينَ رجعةٌ، وأنهم لا تقومُ لهم قائمةٌ بعد ذلك، فذهبوا في طلبِ الغنيمةِ.

وكرَّ الفرسانُ من المشركينَ، فوجَدوا تلك الفُرْجةَ قد خلتْ من الرماةِ؛ فجاوزوها وتمكَّنوا، وأقبلَ آخرُهم، فكان ما أراد الله كونَه، فاستُشْهِدَ من أكرمَ اللهُ بالشهادةِ من المؤمنينَ، فقُتل جماعةٌ من أفاضلِ الصحابةِ، وتولَّى أكثرُهم.

وخلصَ المشركون إلى رسولِ الله ﷺ، فجُرح في وجهِه الكريمِ، وكُسرتْ رَبَاعِيته[٢] اليمنى السفلى بحجرٍ، وهُشِّمَت البيضةُ على رأسِه المقدسِ.

ورشَقَه المشركونَ بالحجارةِ؛ حتى وقع لِشقِّه، وسقطَ في حُفرةٍ من الحُفَرِ التي كان أبو عامرٍ الفاسقُ حَفَرها؛ يكيدُ بها المسلمينَ، فأخذ عليٌّ بيدِه، واحتَضَنه طلحةُ بنُ عبيدِ الله.

وكان الذي تولّى أذى رسولِ الله ﷺ: عمرُو بنُ قَمِئةَ، وعتبةُ بنُ أبي وقاصٍ، وقيل: إن عبدَ الله بنَ شهابِ الزهريَّ – أبا عمِّ محمدِ بنِ مسلمِ بنِ شهابِ الزهريِّ – هو الذي شجَّه ﷺ.

وقُتل مصعبُ بنُ عميرٍ ﷺ بين يديْه، فدفَعَ ﷺ اللواءَ إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ.

ونَشِبتْ حلقتانِ من حِلَقِ المِغْفَرِ في وجْهِه ﷺ، فانتزعَهُما أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ ﷺ، وعضَّ عليهما؛ حتى سقَطَت ثَنِيَّتاه، فكان الهتمُ يُزينُه، وامتصَّ مالكُ بنُ سنانٍ – والدُ أبي سعيدٍ الخدريِّ – الدمَ من جُرحِه ﷺ.

وأدرك المشركون رسولَ الله ﷺ، فحالَ دونَه نفرٌ من المسلمينَ نحوٌ من عشرةٍ فقُتلوا، ثم جالَدَهم طلحةُ حتى أجهَضَهم[٣] عنه ﷺ، وتَرَّسَ[٤] أبو دجانةَ؛ سِماكُ بنُ خرشةَ عنه ﷺ بظهرِه، والنبلُ يقعُ فيه، وهو لا يتحركُ ﷺ.

---

(١) تقديم رسول الله: ما تقدم من نهيهم عن مغادرة مكانهم.

(٢) رباعيته: سِنّه الذي بين الثنية والناب: وهي أربع: رَباعيتان في الفك الأعلى، ورباعيتان في الفك الأسفل.

(٣) أجهضهم: غلبهم ونحّاهم.

(٤) ترس عنه: وقاه.

ورمى سعدُ بنُ أبي وقاصٍ ﷺ يومئذ رميًا مسددًا مُنْكِيًا[١] فقال له رسولُ الله ﷺ: «ارم فداك أبي وأمي»[٢].

وأصيبتْ يومئذٍ عينُ قَتادةَ بنِ النعمانِ الظفريِّ، فأتى بها رسولُ الله ﷺ فردَّها – عليه الصلاةُ والسلامُ – بيدِه الكريمةِ، فكانت أصحَّ عينيه وأحسنَهما.

وصرخَ الشيطانُ – لعنَه الله – بأعلى صوتِه: إن محمدًا قد قُتل، ووقعَ ذلك في قلوبِ كثيرٍ من المسلمينَ؛ وتولَّى أكثرُهم، وكان أمرُ الله.

ومَرَّ أنسُ بنُ النضرِ بقومٍ من المسلمينَ قد ألقَوا بأيديهم، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسولُ الله ﷺ ! فقال: ما تصنعونَ في الحياةِ بعدَه؟ قوموا فموتوا على ما ماتَ عليه، ثم استقبلَ الناسَ، فلقي سعدَ بنَ معاذٍ، فقال: يا سعدُ! والله إني لأجدُ ريحَ الجنةِ من دونِ أحدٍ، فقاتلَ حتى قُتل ﷺ، ووُجدتْ به سبعونَ ضربةً.

وجُرح يومئذ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ نحوًا من عشرينَ جِراحةً، بعضُها في رجلِه، فَعَرِجَ منها حتى ماتَ ﷺ.

وأقبل رسولُ الله ﷺ نحوَ المسلمينَ، فكان أولُ من عرفَه تحتَ المغفَرِ كعبَ بنَ مالكٍ ﷺ، فصاح بأعلى صوتِه: يا معشرَ المسلمين! أبشِروا؛ هذا رسولُ الله ﷺ! فأشار إليه ﷺ أن اسكُت، واجتمعَ إليه المسلمونَ، ونهضُوا معه إلى الشِّعْبِ الذي نزل فيه؛ فيهم: أبو بكرٍ، وعمرُ وعليٌّ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ الأنصاريُّ، وغيرُهم.

فلما أَسْندوا في الجبلِ؛ أدركَه أُبيُّ بنُ خلفٍ على جوادٍ، يقال له: العَوْدُ. زعم الخبيثُ أنه يقتُل رسولَ الله ﷺ، فلما اقتربَ؛ تناولَ رسولُ الله ﷺ الحربَةَ من يدِ الحارثِ بنِ الصِّمةِ، فطعنه بها، فجاءت في تَرْقُوَتِه[٣]، وَيكِرُّ عدوُّ الله منهزمًا، فقال له المشركون: والله ما بك من بأسٍ، فقال: والله لو كان ما بي بأهلِ ذي المجازِ؛ لماتوا أجمعون، إنه قال لي: إنه قاتلي، ولم يزلْ به ذلك حتى ماتَ بسَرِفٍ[٤] مرجِعِه إلى مكةَ – لعنه اللهُ –.

---

(١) منكيا: مؤثرًا قاهرًا.

(٢) البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢).

(٣) ترقوته: الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق.

(٤) سرف: مكان على ستة أميال من مكة.

وجاء عليٌّ ﷺ إلى رسولِ الله ﷺ بماءٍ ليغسِلَ عنه الدمَ، فوجدَه آجِنًا[١]، فردَّه.

وأرادَ ﷺ أن يعلُوَ صخْرةً هناك، فلم يستَطِعْ؛ لما به ﷺ، ولأنه ظاهرَ يومئذٍ بين درعينِ، فجلس طلحةُ تحتَه حتى صَعِدَها.

وحانت الصلاةُ، فصلَّى بهم جالسًا.

ثم مالَ المشركونَ إلى رِحَالهم، ثم استقبلوا طريقَ مكةَ منصرفينَ إليها، وكان هذا كلُّه يومَ السبتِ.

واستُشهدَ يومئذٍ من المسلمين نحوُ السبعينَ؛ منهم: حمزةُ عمُّ رسولِ الله ﷺ، قتَلَه وحشيٌّ مولى بني نوفلٍ؛ وأُعتِقَ لذلك، وقد أسلمَ بعدَ ذلك - وكان أحدَ قَتَلَةِ مُسَيْلِمَةَ الكذابِ لعنه اللهُ -، وعبدُ الله بنُ جحشٍ حليفُ بني أميةَ، ومصعبُ بنُ عميرٍ، وعثمانُ ابنُ عثمانَ؛ وهو شمّاسُ بنُ عثمانَ المخزوميُّ، سُمِّي بشماسٍ؛ لحسنِ وجْهِه، فهؤلاءِ أربعةٌ من المهاجرينَ، والباقونَ من الأنصارِ - رضي الله عنهم جميعِهم -، فدفَنَهم في دمائِهم وكُلُومهم، ولم يُصَلِّ عليهم يومئذٍ.

وفرَّ يومئذٍ من المسلمين جماعةٌ من الأعيانِ؛ منهم: عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ، وقد نصَّ الله - سبحانه - على العفوِ عنهم؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقُتل يومئذٍ من المشركين اثنانِ وعشرونَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ حمراءَ الأسدِ]

ولما أصبحَ يومُ الأحدِ؛ ندبَ رسولُ الله ﷺ المسلمينَ إلى النهوضِ في طلبِ العدوِّ؛ إرهابًا لهم، وهذه غزوةُ حمراء الأسدِ، وأمرَ ألا يخرجَ معه إلا من حضَرَ أُحدًا، فنهض المسلمونَ كما أمرَهم ﷺ، وهم مُثْقَلونَ بالجراحِ، حتى بلغَ حمراءَ الأسدِ - وهي على ثمانيةِ أميالٍ من المدينةِ -؛ فذلك قولُه تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ

(١) آجنًا: متغيرًا.

أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

ومرَّ معبدُ بنُ أبي معبدٍ الخزاعيُّ على رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، فأجارَه حتى بلغَ أبا سفيانَ والمشركينَ بالرَّوْحاءِ[1]، فأخبرهم: أنَّ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه قد خرجوا في طلبِهم، فَفَتَّ ذلك في أعضادِ قريشٍ، وكانوا أرادوا الرجوعَ إلى المدينةِ؛ فَثَنَاهم ذلك، واستمروا راجعينَ إلى مكةَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[بعثُ الرجيعِ]

ثم بعثَ ﷺ بعد أُحُدٍ بعثَ الرجيعِ، وكان ذلك في صَفَر من السنةِ الرابعةِ، وذلك أنه ﷺ بعثَ إلى عضَلَ والقَارَةِ[2] بسؤالهم رسولَ الله ﷺ ذلك حين قَدِموا عليه، وذكروا أنّ فيهم إسلامًا، فبعث ستةَ نفرٍ في قولِ ابنِ إسحاقَ، وقال البخاريُّ في «صحيحِه»: «كانوا عشرة».

وقال أبو القاسم السُّهيليُّ: «وهذا هو الصحيحُ».

وأمَّر عليهم مرثَدَ بنَ أبي مرثِدٍ الغنويَّ – رضي اللهُ عنهم –.

ومنهم خُبيبُ بنُ عدِيٍّ، فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيعِ – وهو: ماءٌ لهذيلٍ بناحيةِ الحجازِ – بالهدأةِ؛ غَدَروا بهم، واستصرخوا عليهم هُذَيلًا، فجاءوا، فأحَاطوا بهم، فقتلوا عامَّتَهم، وكان في شأنِهم آياتٌ – رضي اللهُ عن جميعِهم –، واستأسَرَ منهم خُبيبُ بنُ عديٍّ ورجلٌ آخر – وهو: زيدُ بنُ الدَّثِنَّةِ –، فذهبوا بهما فباعوهما بمكةَ؛ وذلك بسببِ ما كانا قتلا من كفارِ قريشٍ يومَ بدرٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) وهذا من حنكته ﷺ وحسن تدبيره في الحرب، فترك هذا الرجل كان سببًا في تخذيل قريش عن معاودة القتال.

(٢) عضل والقارة: هم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة وهم من أحابيش قريش.

[بعثُ بئرِ معونةَ]

وفي صَفَرَ هذا: بعث إلى بئرِ معونةَ - أيضًا -؛ وذلك أن أبا بَرَاء عامرَ بنَ مالكٍ - المدعُوّ: مُلاعِبَ الأسِنَّةِ -، قدِمَ على رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فدعاه إلى الإسلامِ؛ فلم يُسلم، ولم يبعُدْ، فقال: يا رسولَ الله! لو بعثتَ أصحابَك إلى أهلِ نجدٍ؛ يدعونَهم إلى دينِك؛ لرجوتُ أن يُجيبوهم، فقال: «إني أخافُ عليهم أهل نجدٍ»، فقال أبو بَرَاء: أنا جارٌ لهم.

فبعث ﷺ سبعينَ رجلًا وأمَّر عليهم المنذرَ بنَ عمرٍو أحدَ بني ساعدةَ، ولقبُه: المُعْنِق لِيَموت - رضي الله عنهم أجمعينَ -، وكانوا من فضلاءِ المسلمينَ وسادتِهم وقُرَّائِهم.

فنهَضوا فنزلوا بئرَ معونةَ، وهي: بين أرضِ بني عامرٍ وحَرَّةِ بني سُليمٍ، ثم بعثوا منها حرامَ بنَ مِلْحَانَ - أخا أمِّ سُليمٍ - بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامرِ بنِ الطفيلِ، فلم ينظُرْ فيه، وأمر به فقتَلَه؛ ضربَه رجلٌ بحربةٍ، فلما خرج الدمُ؛ قال: فزتُ وربِّ الكعبةِ.

واستنْفَرَ عدوُّ الله عامرٌ: بني عامرٍ إلى قتالِ الباقينَ، فلم يُجيبوه؛ لأجلِ جِوَارِ أبي بَرَاء، فاستنفر بني سُليمٍ؛ فأجابتْه عَصِيَّةُ ورَعْلٌ وذَكْوانُ، فأحاطوا بأصحابِ رسولِ الله ﷺ، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرِهم - رضي اللهُ عنهم-؛ إلا كعبَ بنَ زيدٍ، من بني النجارِ؛ فإنه ارْتُثَّ[(١)] من بين القَتْلى، فعاشَ حتى قُتل يومَ الخندقِ.

وأُسِر عمرُو بنُ أميةَ، فلما أخبرَ أنه من مُضَر؛ جزَّ عامرٌ ناصِيَتَه، وأعتَقَه - فيما زعم - عن رقبةٍ كانت على أمِّه!

ورجع عمرُو بنُ أميةَ، فلما كان بالقَرْقَرَةِ[(٢)] من صدر قناةٍ[(٣)]؛ نزل في ظلٍّ، ويجيءُ رجلانِ من بني كلابٍ - وقيل: من بني سُلَيمٍ - فنزلا معه فيه، فلما ناما؛ فَتَكَ بهما عمرٌو - وهو يرى أنه قد أصاب ثأرًا من أصحابِه-، وإذا معهما عهدٌ من رسولِ الله ﷺ لم يشعُرْ به،

---

(١) ارتُثّ: انتُشِل وهو مثخن بالجراح.

(٢) القرقرة: الأرض الملساء.

(٣) قناة: وادٍ من أودية المدينة.

فلما قَدِمَ؛ أخبر رسولَ الله ﷺ بما فعل، فقال: «لقد قتلتَ قتيلين، لأَدِيَنَّهما»[(١)].

فكان هذا سببَ غزوةِ بني النضيرِ؛ كما ورد هذا في «الصحيحِ»[(٢)].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوة بني النضير]

ونهض رسولُ الله ﷺ بنفسِه الكريمةِ إلى بني النضيرِ؛ ليستعينَ على دِيَةِ ذَيْنَك القتيلينِ؛ لما بينهما وبينهم من الحِلْفِ، فقالوا: نعم.

وجلسَ ﷺ هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ وطائفةٌ من أصحابِه – رضي الله عنهم – تحتَ جدارٍ لهم، فاجتمعوا فيما بينهم، وقالوا: مَنْ رجلٌ يُلقي هذا الرَّحا على محمدٍ فيقتُله؟ فانتدبَ لذلك عمرُو بنُ جِحَاشٍ – لعنه الله –.

وأعلمَ اللهُ رسولَه بما هَمُّوا به؛ فنهضَ ﷺ من وقتِه من بينِ أصحابِه، فلم يَتَناه دون المدينةِ، وجاء من أخبر أنه رآه ﷺ داخلًا في حيطانِ المدينة، فقام أبو بكرٍ ومن معه فاتَّبعوه.

فأخبرَهم بما أعلمه اللهُ من أمرِ يهودَ، وندبَ الناسَ إلى قِتَالهم، فخرجَ، واستعملَ على المدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ، وذلك في ربيعٍ الأولِ، فحاصَرَهم ستَّ ليالٍ منه.

وحينئذٍ حُرِّمت الخمرُ؛ كذا ذكره ابنُ حزمٍ، ولم أرَه لغيرِه.

ودسَّ عبدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سلولٍ وأصحابُه من المنافقينَ إلى بني النضيرِ: أنَّا معكم نقاتِلُ معكم، وإن أُخرِجتُم؛ خرجْنا معكم؛ فاغترَّ أولئك بهذا، فتحصَّنوا في آطامِهم[(٣)].

فأمر ﷺ بقطْعِ نخيلِهم وإحراقِها، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجْلِيَهم ويحقِنَ دماءَهم؛ على أنَّ لهم ما حملتْ إبلُهم غيرَ السلاحِ، فأجابَهم إلى ذلك.

فتحمَّل[(٤)] أكابرُهم؛ كحُيَيِّ بنِ أخطبَ، وسلامُ بنُ أبي الحقيقِ، بأهلِيهم وأموالِهم

---

(١) المعجم الكبير (٢٠/ ٣٥٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين.

(٣) آطامهم: حصونهم.

(٤) تحمل: ارتحل.

إلى خيبرَ، فدانتْ لهم، وذهبت طائفةٌ منهم إلى الشام.

وفي هذه الغزوةِ أنزل اللهُ - سبحانه - سورةَ الحشرِ، وقد كان عبدُ الله بنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - يسَمِّيها سورةَ بني النضيرِ.

وَقَنَتَ رسولُ الله ﷺ شهرًا يدعو على الذين قَتَلوا القراءَ؛ أصحابَ بئرِ معونةَ[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ ذاتِ الرِّقَاعِ]

ثم غزا ﷺ غزوةَ ذاتِ الرقاعِ، وهي: غزوةُ نجدٍ.

فخرج في جُمادى الأولى من هذه السنةِ الرابعةِ، يريدُ محاربَ وبني ثعلبةَ ابنَ سعدٍ في غَطَفَانَ، واستعملَ على المدينةِ أبا ذرٍّ الغِفَاريَّ، فسار حتى بلغ نخلًا، فلقي جمعًا من غطَفَانَ، فتوقَّفوا، ولم يكن بينهم قتالٌ؛ إلا أنه صلَّى يومئذٍ صلاةَ الخوفِ - فيما ذكره ابنُ إسحاقَ وغيرُه من أهلِ السيرِ -.

وهذا مُشْكِلٌ؛ لأنه قد جاء في روايةِ الشافعيِّ وأحمدَ والنسائيِّ، عن أبي سعيدٍ: أن رسولَ الله ﷺ حَبَسَه المشركون يومَ الخندقِ عن الظهرِ والعصرِ والمغربِ والعشاءِ، فصلَّاهن جميعًا، وذلك قبل نزولِ صلاةِ الخوفِ.

قالوا: وإنما نزلتْ صلاةُ الخوفِ بِعُسْفَانَ[2]، وقد عُلم بلا خلافٍ أن غزوةَ عُسْفَانَ كانت بعد الخندقِ؛ فاقتضَى هذا أن ذاتَ الرقاعِ بعدَها، بل بعدَ خيبرَ.

وقد قال بعضُ أهلِ التاريخِ: إن غزوةَ ذاتِ الرِّقاعِ أكثرُ من مرةٍ؛ فواحدةٌ كانت قبلَ الخندقِ، وأخرى بعدها.

قلتُ: إلا أنه لا يتَّجه أنه صلّى في الأولى صلاةَ الخوفِ؛ إن صحَّ حديثُ أنها إنما فُرضت في عُسْفَانَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٤٠٨٨)، ومسلم (٦٧٧).

(٢) عُسْفان: قرية جامعة بين مكة والمدينة.

[محاولةُ اغتيالِ النبيِّ ﷺ]

وقد ذكروا أنه كانتْ من الحوادثِ في هذِه الغزوةِ قصةُ غُورَثِ بنِ الحارثِ الذي هَمَّ برسولِ الله ﷺ - وهو قائلٌ تحتَ الشجرةِ -، فاستلَّ سيفَه وأراد ضَرْبَه، فصدَّه اللهُ عنه، وحُبِسَتْ يدُه، واستيقَظَ رسولُ الله ﷺ من نومِه، فدعا أصحابَه؛ فاجتمعوا إليه، فأخبرهم عنه، وما هَمَّ به غورثُ من قتلِه، ومع هذا كلِّه أطلَقه وعفا عنه ﷺ.

وهذا كان في غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ؛ إلا أنها التي بعدَ الخندقِ؛ بما أخرجاه في «الصحيحينِ»، عن جابرِ بنِ عبدِ الله ﷺ، قال: أقبلنا مع رسولِ الله ﷺ حتى إذا كنا بذاتِ الرِّقاعِ؛ قال: كنا إذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركْنَاها لرسولِ الله ﷺ، قال: فجاء رجلٌ من المشركينَ وسيفُ رسولِ الله ﷺ معلَّقٌ بالشجرةِ، فأخذ السيفَ، فاختَرَطه[1]، فقال لرسولِ الله ﷺ: أتخافُني؟ قال: «لا»، قال: فمن يمنَعُك مني؟ قال: «الله»، قال: فتَهَدَّدَه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، فأغمدَ السيفَ وعلَّقه، قال: فنودي بالصلاةِ، فصلَّى بطائفةٍ ركعتينِ، ثم تأخروا، وصلَّى بالطائفةِ الأخرى ركعتينِ، وكانتْ لرسولِ الله ﷺ أربعَ ركعاتٍ، وللقومِ ركعتانِ. واللفظُ لمسلم[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) اخترطه: استلّه من غمده.

(٢) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٣).

[غزوة الخندقِ]

يشتملُ على ملخصِ غزوةِ الخندقِ التي ابتلى الله فيها عبادَه المؤمنينَ وزَلْزلهم، وثبَّتَ الإيمانَ في قلوبِ أوليائِه، وأظهرَ ما كان يُبطِنُه أهلُ النفاقِ، وفضَحَهم، وقرَّعَهم، ثم أنزل نصرَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وأعزَّ جندَه، ورد الكفرةَ بغيظِهم، وَوَقى المؤمنين شرَّ كيدِهم، وذلك بفضلِه ومَنِّه.

وحَرَّم عليهم شرعًا وقَدَرًا أن يَغْزُوا المؤمنينَ بعدَها؛ بل جعلَهم المغلوبينَ، وجعل حزبَه هم الغالبين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكانت في سنةِ خمسٍ، في شَوَّالها على الصحيحِ من قولي أهلِ المغازِي والسيرِ.

وكان سببُ غزوةِ الخندقِ: أن نفرًا من يهود بني النضيرِ الذين أجْلَاهم ﷺ من المدينةِ إلى خيبرَ - كما قَدَّمنا، وهم أشرافُهم: كسلامِ بنِ أبي الحقيقِ، وسلامِ بن مِشْكَمٍ، وكنانةَ بنِ الربيعِ، وغيرِهم - خرجوا إلى قريشٍ بمكةَ، فألّبوهم على حربِ رسولِ الله ﷺ، ووعدوهم من أنفسِهم النصرَ، فأجابوهم، ثم خرجوا إلى غَطَفَانَ، فدعَوْهم، فاستجابوا - أيضًا -، وخرجتْ قريشٌ وقائدُهم: أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وعلى غَطَفَانَ: عيينةُ بنُ حصنٍ، كلُّهم في نحوِ عشرةِ آلافِ رجلٍ.

فلما سمِعَ رسولُ الله ﷺ بمسيرِهم إليه؛ أمر المسلمينَ بِحَفْرِ خندقٍ يحولُ بين المشركينَ وبين المدينةِ، وكان ذلك بإشارةِ سلمانَ الفارسيِّ - رضي الله عنه -، فعمِلَ المسلمون فيه مبادرينَ هجومَ الكفارِ عليهم، فلما كَمُلَ؛ قَدِمَ المشركونَ، فنزلوا حولَ المدينةِ؛ كما قال - تعالى -: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وخرجَ رسولُ الله ﷺ، فتحصَّنَ بالخندقِ وهو في ثلاثةِ آلافٍ - على الصحيحِ - من أهلِ المدينةِ.

فجعلوا ظهورَهم إلى سَلْعٍ[1]، وأمر ﷺ بالنساءِ والذّراري؛ فجُعلوا في آطام المدينةِ، واستَخْلَفَ عليها ابن أمِّ مكتومٍ ﷺ.

وانطلق حُييُّ بنُ أخطبَ النضْريُّ إلى بني قريظةَ، فاجتمعَ بكعبِ بنِ أسدٍ رئيسِهم،

(١) سَلْع: جبل بالمدينة.

فلم يزلْ به حتى نقضَ العهدَ الذي كان بينَه وبين رسولِ الله ﷺ، ووافق كعبٌ المشركينَ على حربِ رسولِ الله، فسُرُّوا بذلك.

وبعثَ رسولُ الله ﷺ السعدينِ – ابنَ معاذٍ، وابنَ عُبادةَ – وخوّاتَ بنُ جبيرٍ، وعبدَ الله بن رواحةَ؛ ليعرِفوا له: هل نقضَ بنو قريظةَ العهدَ أم لا؟ فلما قَربُوا منهم؛ وجدوهم مجاهرينَ بالعداوةِ والغدْرِ، فتسابّوا، ونال اليهودُ – عليهم لعائنُ الله – من رسولِ الله ﷺ؛ فسبَّهم سعدُ بنُ معاذٍ، وانصرفوا عنهم.

وقد أَمَرَهم ﷺ إن كانوا قد نَقَضوا أن لا يَفُتّوا ذلك في أعضادِ المسلمينَ؛ لئلا يورثَ وَهْنًا، وأن يَلْحَنوا إليه لحنًا –أي: لُغزًا–، فلما قَدِموا عليه؛ قال: «**ما وراءكم؟**»، قالوا: عضلُ والقَارَةُ؛ يعنونَ: غَدْرَهم بأصحابِ الرجيعِ، فعظُم ذلك على المسلمين، واشتدَّ الأمرُ، وعظم الخطرُ، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١].

وَنَجَم النفاقُ وكثُر، واستأذنَ بعضُ بني حارثةَ رسولَ الله ﷺ في الذهابِ إلى المدينةِ؛ لأجلِ بيوتِهم، قالوا: إنها عورةٌ، وليس بين العدو وبينها حائلٌ، وهمَّ بنو سَلَمةَ بالفشلِ، ثم ثَبَّتَ الله كِلْتَا الطائفتينِ.

ولبثَ المشركونَ محاصِرينَ رسولَ الله ﷺ شهرًا، ولم يكنْ بينهم قتالٌ؛ لأجلِ ما حال الله به من الخندقِ بينَه وبينهم.

إلا أن فوارسَ من قريشٍ؛ منهم: عمرُو بنُ عبدِ ودٍّ العامريُّ، وجماعةٌ معه، أقبلوا نحوَ الخندقِ، فلما وقَفُوا عليه؛ قالوا: إنَّ هذه لمكيدةٌ ما كانت العربُ تعرفُها، ثم تيمَّموا مكانًا ضَيِّقًا من الخندقِ، فاقْتَحموه وجاوزوه، وجالتْ بهم خيلُهم في السَّبخةِ[1] بين الخندقِ وسلْعٍ، ودعوا للبرازِ؛ فانتدبَ لعمرِو بنِ عبدِ ودٍّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ، فبارزه، فقتَلَه الله على يديْهِ، وكان عمرٌو لا يُجارَى في الجاهليةِ شجاعةً، وكان شيخًا قد جاوزَ المئةَ يومئذٍ.

وأما الباقونَ؛ فينطلقونَ راجعين إلى قومِهم من حيثُ جاءوا، وكان هذا أولُ ما

---

(١) السبخة: الأرض التي تسوخ فيها الأقدام.

فتحَ الله به من خُذْلانِهم.

ولما طالَ هذا الحالُ على المسلمين؛ أراد رسولُ الله ﷺ أن يصالِحَ عيينةَ بنَ حصنٍ والحارثَ بنَ عوفٍ - رئيسي غَطَفَانَ - على ثلثِ ثمارِ المدينةِ؛ وينصَرِفا بقومِهما، وجَرَت المراوضَةُ على ذلك، ولم يَتِمّ الأمرُ؛ حتى استشارَ ﷺ السعدينِ في ذلك، فقالا: يا رسولَ الله! إن كان الله أمرَك بهذا؛ فسمعًا وطاعةً، وإن كان شيئًا تصنَعُه لنا؛ فلقد كنا نحنُ وهؤلاءِ القومُ على الشركِ بالله وعبادةِ الأوثانِ، وهم لا يَطْمعونَ أن يأكلوا منها ثمرةً إلا قِرًى أو بيعًا، فحين أكرَمَنا الله - تعالى - بالإسلامِ، وهدانا له، وأعزَّنا بك وبه: نُعطيهم أموالَنا؟ والله لا نُعطيهم إلا السيفَ، فقال ﷺ: «إنما هو شيء أصنعه لكم»[1].

وصوَّب رأيَهما في ذلك - رضي الله عنهما -، ولم يفعلْ من ذلك شيئًا.

ثم إن الله - سبحانه -، وله الحمدُ - صنع أمراً من عندِه خَذَّل به بينَهم، وفلَّ جموعَهم[2]، وذلك أن نُعَيْمَ بنَ مسعودِ بنِ عامرٍ الغطفانيَّ ﷺ جاء إلى النبيِّ ﷺ، وقال: يا رسولَ الله!إني قد أسلمتُ فمُرني بما شئتَ، فقال ﷺ: «**إنما أنت رجل واحدٌ، فخذّل عنا إن استطعتَ؛ فإن الحربَ خُدعةٌ**»[3].

فذهب من حينِه ذلك إلى بني قريظةَ - وكان عشيرًا لهم في الجاهليةِ - فدخَلَ عليهم، وهم لا يعلمونَ بإسلامِه، فقال: يا بني قُريظةَ! إنكم قد حاربتُم محمدًا، وإن قريشًا إنْ أصابوا فرصةً انتهزوها؛ وإلّا انشمروا[4] إلى بلادهم، وتركوكم ومحمدًا، فانتقمَ منكم.

قالوا: فما العملُ يا نُعيم؟! قال: لا تقاتلوا معهم حتى يُعطوكم رهائِنَ، قالوا: لقد أشرتَ بالرأيِ.

ثم نهضَ إلى قريشٍ، فقال لأبي سفيانَ ولهم: تعلمونَ وُدِّي ونُصْحِي لكم؟ قالوا: نعم، فقال: إن يهودَ قد نَدِموا على ما كان منهم من نقضِ عهدِ محمدٍ وأصحابِه، وإنهم

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ١٨٠).

(٢) فلَّ جموعهم: فرقهم.

(٣) دلائل النبوة (٣/ ٤٤٥).

(٤) انشمروا: رجعوا.

قد راسَلُوه أنهم يأخذونَ منكم رهائِنَ يدفعونَها إليه، ثم يُمالئونَه عليكم، ثم ذهبَ إلى قومه غَطَفَانَ، فقال لهم مثل ذلك.

فلما كان ليلةَ السبتِ من شوالٍ؛ بعثوا إلى يهودَ: إنا لسنا بأرضِ مقامٍ، فانهضُوا بنا غدًا نُنَاجِزُ(١) هذا الرجلَ، فأرسلَ إليهم اليهودُ: إن اليومَ يومُ السبتِ، ومع هذا؛ فإنا لا نقاتلُ معكم حتى تَبعثوا إلينا رُهُنًا، فلما جاءَهم الرسلُ بذلك؛ قالت قريشٌ: صَدَقَنا – والله – نُعيمُ بنُ مسعودٍ، وبعثوا على يهودَ: إنا والله لا نرسِلُ لكم أحدًا، فاخرُجوا معنا، فقالت بنو قريظةَ: صدقَ – والله – نُعيم، وأبَوْا أن يُقَاتلوا معهم.

وأرسلَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – على قريشٍ ومن معهم الخَوَرَ(٢) والريحَ تزلزِلُهم؛ فجعلوا لا يقرُّ لهم قرارٌ، ولا تثبُتُ لهم خيمةٌ ولا طُنُبٌ(٣) ولا قِدْرٌ ولا شيءٌ، فلما رأوا ذلك؛ ترحَّلوا من ليلتِهم تلك.

فلما أصبحَ رسولُ الله ﷺ؛ غدا إلى المدينةِ، وقد وضعَ الناسُ السلاحَ، فجاء جبريلُ – عليه السلامُ – إلى رسولِ الله ﷺ – وهو يغتسِلُ في بيتِ أمِّ سلمةَ –، فقال: «أوضعتُمُ السلاحَ؟! أما نحن؛ فلم نَضَع بعد أسلحَتَنا، انهدْ إلى هؤلاء»(٤)؛ يعني: بني قريظةَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ بني قريظةَ]

فنهضَ ﷺ من وقتِه إليهم، وأمرَ المسلمينَ أن لا يصلي أحدٌ صلاةَ العصرِ – وقد كان دخلَ وقتُها – إلا في بني قريظةَ.

فراحَ المسلمون أرسالًا، وكان منهم من صلَّى العصرَ في الطريقِ، وقالوا: لم يُرِدْ منا رسولُ الله تركَ الصلاةِ، إنما أراد تعجيلَ السيرِ.

وكان منهم من لم يُصَلِّ حتى غربت الشمسُ، ووصل إلى بني قريظةَ، فلم يُعَنِّفْ

---

(١) نناجز: ننازل ونقاتل.

(٢) الخور: الضعف والانكسار.

(٣) طنب: حبلٌ يشدُّ به الخيمة.

(٤) أحمد (٢٤٤٧٣). وبنحوه البخاري (٤١١٧، ٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

ﷺ واحدًا من الفريقين.

وأعطى رسولُ الله ﷺ الرايةَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ –رضي الله عنه–، واستَخْلَفَ على المدينةِ ابنَ أمِّ مكتومٍ، ونازلَ حصونَ بني قُريظةَ وحَصَرَهم خمسًا وعشرين ليلةً.

وعرض عليهم سيدُهم كعبُ بنُ أسدٍ ثلاثَ خِصالٍ:

* إما أن يُسلموا ويدخلوا مع محمدٍ في دينِه.

* وإما أن يَقْتُلوا ذَرارِيَهم، ويخرجوا جرائِدَ[1]، فيقاتِلوا حتى يُقْتلوا عن آخرِهم، أو يخلُصُوا[2] فيصيبوا بعدُ الأولادَ والنساءَ.

* وإما أن يَهْجمُوا على رسولِ الله ﷺ وأصحابِه يومَ سبتٍ حينَ يأمنُ المسلمونَ شرَّهم، فأبوا عليه واحدةً منهنَّ.

وكان قد دخلَ معهم في الحِصْنِ حُيَيُّ بنُ أخطبَ حينَ انصرفتْ قريشٌ؛ لأنه قد كان أعطاهم عهدًا بذلك، حتى نَقَضوا العهدَ، وجعلوا يسبّونَ رسولَ الله ﷺ ويُسْمِعونَ أصحابَه بذلك.

ثم بعثَ ﷺ أبا لبابةَ بنَ عبدِ المنذرِ الأوسيَّ – وكانوا حلفاءَ الأوسِ – فلما رأَوْه؛ قاموا في وجهِه يبكُونَ رجالُهم ونساؤُهم، وقالوا: يا أبا لبابةَ! كيف ترى لنا؟ أننزِلُ على حكمِ محمدٍ؟ قال: نعم.

وأشار بيدِه إلى حَلْقِه –يعني: أنه الذبحُ–، ثم نَدِمَ على هذه الكلمةِ من وقتِه، فقام مسرعًا فلم يرجِعْ إلى رسولِ الله ﷺ حتى جاء مسجدَ المدينةِ، فربطَ نفسَه بساريةِ المسجدِ، وحلفَ: لا يحلُّه إلا رسولُ الله ﷺ بيدِه، وأنه لا يدخلُ أرضَ بني قريظةَ أبدًا، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ ذلك؛ قال: «**دعوه حتى يتوبَ الله عليه**»، وكان من أمرِه ما كان حتى تابَ اللهُ عليه رضي الله عنه.

ثم إن بني قريظةَ نزلوا على حكمِ رسولِ الله ﷺ.

ولما نزلوا على حكمِه ﷺ؛ قالت الأوسُ: يا رسولَ الله! قد فعلتَ في بني قينقَاعٍ ما قد علمتَ وهم حلفاءُ إخوتِنا الخزرجِ، وهؤلاءِ موالينا، فقال: «**ألا ترضون أن يحكُمَ**

---

(١) جرائد: ليس معهم شيء.

(٢) يخلصوا: يسلموا.

فيهم رجلٌ منكم؟»، قالوا: بلى، قال: «فذاك إلى سعدِ بنِ معاذٍ»، وكان سعدٌ إذ ذاك قد أصابَه جُرحٌ في أَكْحَلِه[1]، وقد ضربَ له رسولُ الله ﷺ خيمةً في المسجدِ؛ ليعودَه من قريبٍ، فبعثَ إليه ﷺ، فجيءَ به، وقد وطَّؤوا له على حمارٍ، وإخوتُه من الأوسِ حولَه محيطونَ به، وهم يقولون: يا أبا عمرٍو! أحسِنْ في مواليك، فلما أكثروا عليه؛ قال: لقد آن لسعدٍ أن لا تأخُذَه في الله لومةُ لائمٍ، فرجَعَ رجالٌ من قومِه إلى بني عبدِ الأشهلِ، فنعَوْا إليهم بني قُريظةَ، فلما دنا من رسولِ الله ﷺ؛ قال: «قوموا إلى سيدِكم»[2]؛ فقام إليه المسلمون، فقالوا: يا سعدُ! قد ولّاك رسولُ الله ﷺ الحكمَ في بني قُريظةَ، فقال: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه أن الحكمَ فيهم كما حكمتُ؟ قالوا: نعم. قال: وعَلَى من هاهنا؟ وأشارَ إلى الناحيةِ التي فيها رسولُ الله ﷺ - وهو مُعْرِضٌ عن رسولِ الله ﷺ؛ إجلالًا له -، فقال رسولُ الله ﷺ: «نعم»، فقال سعدٌ: إني أحكمُ فيهم؛ أن تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهم، وتُسْبَى ذَرَارِيهم، فقال رسول اللهُ ﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكمِ الله من فوقِ سبعةِ أرقعةٍ»[3].

فأمر رسولُ الله ﷺ أن يُقتَلَ من أنبتَ[4] منهم، ومن لم يكن أنبتَ؛ تُرك، فضربَ أعناقَهم في خنادِقَ حُفِرتْ في سوقِ المدينةِ، ولم يقتُلْ من النساءِ أحدًا سوى امرأةٍ واحدةٍ، وهي بَنَانَةُ امرأةُ الحكمِ القرظيِّ؛ لأنها كانت طرحَتْ على رأسِ خلّادِ بنِ سويدٍ فقتلَتْه – لعنها الله –.

وقَسَّم أموالَ بني قريظةَ على المسلمينَ: للراجلِ سَهْمٌ، وللفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ.

وقد استُشْهِدَ يومَ الخندقِ ويومَ قريظةَ نحوُ العشرةِ – رضي الله عنهم جميعِهم – آمين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أكحله: وريد في وسط الذراع.

(٢) البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨).

(٣) هذا لفظ ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٩١٩). ولفظ البخاري (٤١٢١): «قضيت بحكم الله» والأرقعة: جمع رقيع وهي من أسماء السماء، والمعنى: «من فوق سبع سماوات».

(٤) أنبت: ظهر شعر عانته.

[غزوةُ بني لِحْيَانَ]

ثم خرج ﷺ بعد قُريظةَ بستةِ أشهرٍ، وذلك في جُمادى الأولى من السنةِ السادسةِ -على الصحيحِ- قاصدًا، بني لِـحْيَانَ؛ ليأخُذَ بثأرِ أصحابِ الرجيعِ فوجدَهم قد تحصَّنوا في رؤوسِ الجبالِ، فتركَهم وركبَ في مائتي فارسٍ حتى نزل عُسْفَانَ، ثم قَفَلَ[١] ﷺ إلى المدينةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ ذي قَرَد]

ثم أغار -بعد قدومِه المدينةَ بليالٍ- عيينةُ بنُ حِصْنٍ في بني عبدِ الله بنِ غَطَفَانَ على لِقَاحِ[٢] النبيِّ ﷺ التي بالغابةِ، فاستاقَها وقتل راعِيَها، وهو رجلٌ من غِفَارٍ، وأخذُوا امرأتَه.

ولما وقعَ الصريخُ في المدينةِ؛ خرجَ رسولُ الله ﷺ في جماعةٍ من الفُرسَانِ، فلحِقوا سلمةَ بنَ الأكوعِ، واسترجَعوا اللقاحَ، وبلغ النبيُّ ﷺ ماءً يقالُ له: ذو قَرَد، فنحرَ لِقْحَةً مما استُرجِعَ، وأقام يومًا وليلةً، ثم رجَعَ إلى المدينةِ.

وأقبلت المرأةُ المأسورةُ على ناقةٍ لرسولِ الله ﷺ، وقد نَذَرتْ: إن اللهُ أنجَاها عليها؛ لتنحرَنَّها! فقال رسولُ الله ﷺ: «**بئس ما جزَتْها؛ لا نذرَ لابنِ آدمَ فيما لا يملكُ، ولا في معصيةٍ**»[٣]، وأخذ ناقـتَه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ بني المصطلق أو المريسيع]

ثم غزا ﷺ بني المُصْطَلِقِ من خُزَاعةَ في شعبانَ من السنةِ السادسةِ، واستعملَ على المدينةِ أبا ذرٍّ، وقيل: نُمَيْلَةَ بنَ عبدِ الله الليثيَّ، فأغارَ عليهم وهم غارّون[٤] على ماءٍ لهم

(١) قفل: رجع.

(٢) لقاح: جمع لقحة وهي الناقة.

(٣) مسلم (١٦٤١).

(٤) غارون: غافلون.

يقال له: المرَيْسِيعُ، وهو من ناحيةِ قُدَيْدٍ[١] إلى الساحلِ، فقتلَ من قتلَ منهم، وسبى النساءَ والذريةَ.

فكان من السَّبْيِ: جُوَيْرِيَّةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبي ضِرَارٍ؛ ملكِ بني المصْطَلِقِ، وقعتْ في سهمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، فكاتَبَها، فأدَّى عنها رسولُ الله ﷺ وتزوَّجَها؛ فصارت أمَّ المؤمنينَ، فأعتَقَ المسلمونَ بسببِ ذلك مئةَ بيتٍ من بني المصطَلِقِ قد أسلَموا.

وفي مرجِعِه ﷺ قال الخبيثُ عبدُ الله بنُ أُبيِّ بنِ سلولٍ: لئن رجَعْنا إلى المدينةِ؛ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، يُعَرِّضُ برسولِ الله ﷺ، فبلَّغها زيدُ بنُ أرقمَ رسولَ الله ﷺ، وجاء عبدُ الله بن أُبَيّ يعتذرُ، ويحلفُ ما قال، فسكتَ عنه رسولُ الله ﷺ؛ حتى أنزل اللهُ - عزَّ وجلَّ - تصديقَ زيدِ بنِ أرقمَ في سورةِ المنافقينَ.

وكان في هذه الغزوة من الحوادث:

قصة الإفك:

الذي افتراه عبدُ الله بنُ أبيٍّ - هذا الخبيثُ - وأصحابُه، وذلك: أن أمَّ المؤمنين؛ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ الصديقِ - رضي الله عنها - كانتْ قد خرجَتْ مع رسولِ الله ﷺ في هذه السَّفْرةِ، فكانت تُحملُ في هَوْدَجٍ، فنزلوا بعضَ المنازلِ، ثم أرادوا أن يرتحلوا أولَ النهارِ، فذهبتْ إلى المتبرزِ، ثم رجعتْ؛ فإذا هي فاقدةٌ عِقْدًا لأختِها أسماءَ كانت أعارتْها إياه، فرجعتْ تلتَمِسُه في الموضعِ الذي كانت فيه، فجاء النفرُ الذين كانوا يرحلونَ بها، فحمَلوا الهودجَ حملةَ رجلٍ واحدٍ، وليس فيه أحدٌ، فرحَّلوه على البعيرِ، ولم يستنكروا خِفَّتَه؛ لتَسَاعُدِهم عليه، ولأنَّ عائشةَ - رضي الله عنها - كانت في ذلك الوقتِ لم تَحمِلِ اللحمَ، بل كانت في سنِّ أربعَ عشرةَ سنةً.

فلما رجعتْ - وقد أصابتْ العِقْدَ -؛ لم تَرَ بالمنزلِ أحدًا، فجلستْ في المنزلِ، وقالت: إنهم سيفقِدُونها؛ فيرجِعونَ إليها، واللهُ غالبٌ على أمرِه، وله الحكمةُ فيما يشاءُ، وأخذَتْها سِنَةٌ من النومِ، فلم تستيقِظْ إلا بترجيعِ صفوانَ بنِ المعطَّلِ السُّلَميِّ ثم الذكْوانيّ، وكان قد عرَّسَ[٢] في أخرياتِ القومِ؛ لأنه كان شديدَ النومِ؛ فلما رأى أمَّ

---

(١) قديد: موضع بين مكة والمدينة من طريق الساحل.

(٢) عرّس: التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والراحة.

المؤمنين؛ قال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، زوجةُ رسولِ الله ﷺ؟! ثم أناخَ بعيرَه، فقرَّبه إليها، فركِبَتْه، ولم يكلِّمْها كلمةً واحدةً، ولم تسمعْ منه إلا ترجيعَه، ثم سار بها يقودُها حتى قَدِما، وقد نزل الجيشُ في نحرِ الظهيرةِ.

فلما رأى ذلك الناسُ؛ تكلَّم المنافقونَ بما الله مجازيهم به، وجعل عبدُ الله بنُ أُبيٍّ الخبيثُ - مع ما تقدم له من الخزيِ في هذه الغزوةِ - يتكلمُ في ذلك، ويستحْكيه، ويُظهره، ويُشيعه، ويُبديه.

فكان الأمرُ في ذلك؛ كما هو مطوّلٌ في «الصحيحينِ»(١) من حديثِ الزهريِّ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ، وعروةَ بنِ الزبيرِ، وعلقمةَ بنِ وقاصٍ الليثيِّ، وعبيدِ الله بنِ عبدِ الله ابنِ عتبةَ، كلّهم عن عائشةَ - رضي الله عنها -، الصديقةِ بنتِ الصديقِ، المبرأةِ من فوقِ سبعِ سماواتٍ مما اتَّهمها به أهلُ الإفكِ في هذه الغزوةِ في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١].

فلما أنزلَ الله - تعالى - ذلك، وكان بعد قدومهم من هذه الغزوةِ بأكثرَ من شهرٍ؛ جُلد الذين تكلّموا في الإفكِ، وكان ممن جُلد: مِسْطحُ بنُ أثاثةَ، وحَمْنَة بنتُ جحشٍ(٢).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٤٦٩٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها، وإنما دعاها إلى ذلك الانتصار لأختها، أما زينب رضي الله عنها، فقد عصمها الله بالورع فلم تتكلم إلا بالحق.

[غزوةُ الحديبيةِ]

ولما كان ذو القَعْدَةِ من السنةِ السادسةِ؛ خرج رسولُ الله ﷺ معتمرًا في ألفٍ ونيّفٍ، فلما علِمَ المشركونَ بذلك؛ جمعوا أحابيشَهم، وخرجوا من مكةَ صادِّينَ له عن الاعتمارِ هذا العامَ، وقدّموا على خيلٍ لهم خالدَ بنَ الوليدِ إلى كُراعِ الغميمِ[1].

وخالفَه ﷺ في الطريقِ، فانتهى ﷺ إلى الحديبيةِ، وتراسلَ هو والمشركونَ حتى جاء سهيلُ بنُ عمرٍو، فصالحَه: على أن يرجِعَ عنهم عامَهم هذا، وأن يعتَمِرَ من العامِ المقبلِ، فأجابَه ﷺ إلى ما سألَ؛ لما جعلَ الله –عزَّ وجلَّ– في ذلك من البركةِ والمصلحةِ.

وكرِه ذلك جماعةٌ من الصحابةِ –رضي الله عنهم–؛ منهم: عمرُ بنُ الخطابِ –رضي اللهُ عنه–، وراجع أبا بكرٍ الصديقَ في ذلك، ثم راجعَ النبيَّ ﷺ؛ فكان جوابُه ﷺ، كما أجابه الصديقُ ﷺ، وهو أنه عبدُ الله ورسولُه وليس يَعْصِيه، وهو ناصرُه، وقد استقصَى البخاريُّ هذا الحديثَ في «صحيحِه»[2].

فقاضاه سهيلُ بنُ عمرٍو على أن يرجِعَ عنهم عامَه هذا، وأن يعتَمِرَ من العامِ المقبلِ؛ على أن لا يدخلَ مكةَ إلا في جُلُبّانَ السلاحِ[3]، وأن لا يقيمَ عندَهم أكثرَ من ثلاثةِ أيامٍ.

وعلى أن يأمَنَ الناسُ بينَهم وبينه عَشْرَ سنينَ.

فكانت هذه الهدنةُ من أكبرِ الفتوحاتِ للمسلمينَ؛ كما قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ.

وعلى أنه من شاء دخل في عَقْدِ رسولِ الله ﷺ، ومن شاء دخل في عَقْدِ قريشٍ.

وعلى أنه لا يأتِيه أحدٌ منهم –وإن كان مسلمًا– إلا ردَّه إليهم، وإن ذهبَ أحدٌ من المسلمين إليهم لا يردّونه إليه.

فأقر اللهُ –سبحانه– ذلك كلَّه؛ إلا ما استثنى من المهاجراتِ المؤمناتِ من النساءِ؛ فإنه نهاهم عن ردِّهنَّ إلى الكفارِ، وحَرَّمهنَّ على الكفارِ يومئذٍ.

وقد كان ﷺ قبلَ وقوعِ هذا الصلحِ بعثَ عثمانَ بنَ عفانَ ﷺ إلى أهلِ مكةَ؛ يُعْلِمُهُم

---

(١) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٢) البخاري (٢٧٣٤).

(٣) جلُبّان السلاح: قرابُ السلاح وما فيه.

أنه لم يَجِئْ لقتالِ أحدٍ، وإنما جاءَ معتمرًا، فكان من سيادةِ عثمانَ ﷺ أنه عرضَ عليه المشركون الطوافَ بالبيتِ؛ فأبى عليهم، وقال: لا أطوفُ بها قبلَ رسولِ الله ﷺ.

ولم يرجعْ عثمانُ ﷺ حتى بلغَه ﷺ أنه قد قُتل عثمانُ؛ فَحَمِيَ لذلك رسولُ الله ﷺ، ثم دعا أصحابَه إلى البيعةِ على القتالِ، فبايعوه تحتَ شجرةٍ هناك – وكانت سَمُرةً[(١)] –، وكان عدةُ من بايعَه هناك جملةَ من قَدَّمنا أنه خرجَ معه إلى الحديبيةِ؛ إلا الجدَّ بنَ قيسٍ؛ فإنه كان قد استتَرَ ببعيرٍ له نفاقًا منه وخُذْلانًا، وإلا أبا سريحةَ حذيفةَ بنَ أُسَيدٍ؛ فإنه شَهِدَ الحديبيةَ، وقيل: إنه لم يبايعْ، وقيل: بل بايعَ.

ووضَع ﷺ يده عن نفسِه الكريمةِ، ثم قال: «وهذه عن عثمانَ»[(٢)] ﷺ؛ فكان ذلك أجلّ من شهودِه تلك البيعةَ.

وأنزل اللهُ – عزَّ وجلَّ – في ذلك: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال ﷺ: «لا يدخل أحدٌ ممن بايع تحتَ الشجرةِ النار»[(٣)]؛ فهذه هي بيعةُ الرِّضْوانِ.

ولما فرغ النبيُّ ﷺ من مقاضاةِ المشركينَ – كما قَدَّمنا –؛ شرعَ في التحللِ من عمرتِه، وأمرَ الناسَ بذلك، فشقَّ عليهم، وتوقَّفوا؛ رجاءَ نسخِه؛ فغضِبَ النبيُّ ﷺ من ذلك، فدخلَ على أمِّ سلمةَ، فقال لها ذلك، فقالت: اخرجْ أنت يا رسولَ الله! فاذبحْ هديَك، واحلِقْ رأسَك، والناسُ يَتْبَعونَك يا رسولَ الله! فخرجَ ففعلَ ذلك، فبادرَ الناسُ على موافَقَتِه، فحلقُوا كلّهم؛ إلا عثمانَ بنَ عفانَ وأبا قتادةَ الحارثَ بنَ ربعيّ؛ فإنهما قَصَّرا؛ ذكره السهيليُّ في «الروضِ الأُنُفِ».

وكاد بعضُهم يقتلُ بعضًا غمًّا؛ لأنهم يروْنَ المشركين قد ألزموهم بشروطٍ كما أحبُّوا، وأجابهم ﷺ إليها، وهذا من فرطِ شجاعَتِهم – رضي اللهُ عنهم –، وحرصِهم على نصرِ الإسلامِ؛ ولكنَّ الله – عزَّ وجلَّ – أعلمُ بحقائقِ الأمورِ ومصالحِها منهم.

---

(١) سمرة: واحدة من شجر الطلح.

(٢) البخاري (٣٦٩٨).

(٣) مسلم (٢٤٩٦).

ولهذا لما انصرفَ ﷺ راجعًا إلى المدينةِ؛ أنزل الله – عزَّ وجلَّ – عليه سورةَ الفتح بكمالِها في ذلك.

وقال عبدُالله بنُ مسعودٍ: إنكم تعدّون الفتحَ فتحَ مكةَ، وإنما كنا نعدُّه فتحَ الحديبيةِ.

وصدَقَ ﷺ؛ فإنَّ الله سبحانه جعلَ هذه هي السببُ في فتحِ مكةَ؛ كما سنذكُره بعدُ – إن شاء الله تعالى –.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ خيبر]

ولما رجَعَ ﷺ إلى المدينةِ؛ أقام بها إلى المحرمِ من السنةِ السابعةِ، فخرجَ في آخرِه إلى خيبرَ.

فسار ﷺ إليها، واستخلَفَ على المدينة نُميلةَ بنَ عبدِ الله الليثيَّ، فلما انتهى إليها؛ حاصرَها حصنًا حصنًا، يفتحُه اللهُ – عزَّ وجلَّ – عليه ويغنَمُه؛ حتى استكمَلَها ﷺ وخَمَّسَها، وقسَّم نصفَها بين المسلمين، وكان جملتُهم من حضرَ الحديبيةَ فقط، وأرصدَ النصفَ الآخرَ لمصالحِه ولما ينوبُه من أمرِ المسلمينَ.

وقد اصطفَى ﷺ من غنائِمِها صفيةَ بنتَ حييٍّ بنِ أخطبَ لنفسِه؛ فأسلَمَتْ، فأعتقَها، وتزوَّجَها، وبنى بها في طريقِ المدينةِ بعدما حلَّت.

وقد أهدتْ إليه امرأةٌ من يهودِ خيبرَ – وهي زينبُ بنتُ الحارثِ، امرأةُ سلامِ بنِ مِشْكَم – شاةً مَصْلِيةً[1] مسمومةً، فلما انتهشَ من ذِرَاعِها؛ أخبرَه الذراعُ أنه مسمومٌ؛ فتركَ الأكلَ، ودعا باليهوديةِ فاستخبرَها: «أَسَمَمْتِ هذه الشاةَ؟»، فقالت: نعم، فقال: «ما أردتِ إلى ذلك؟»، فقالت: أردتُ إن كنتَ نبيًا؛ لم يضُرك، وإن كنتَ غيره؛ استرحْنا منك، فعفَا عنها ﷺ[2].

---

(١) مصلية: مشوية.

(٢) البخاري (٣١٦٩)، ومسلم (٢١٩٠).

وقيل: إن بِشْرَ بنَ البراءِ بنِ معرورٍ كان ممن أكلَ منها؛ فمات؛ فقتلَها به[١].

وقدِمَ على النبيِّ ﷺ في غزوةِ خيبرَ بعد فراغِهم من القتالِ: جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، وأصحابُه ممن بقي مهاجرًا بأرضِ الحبشةِ، وفي صُحَبتِهم أبو موسى الأشعريُّ في جماعةٍ من الأشعريينَ يزيدون على السبعينَ. وقدِمَ عليه أبو هريرةَ وآخرونَ - رضي الله عنهم أجمعين -، فأعطاهم ﷺ من المغانمِ؛ كما أراه اللهُ - عزَّ وجلَّ -.

وقد قال ﷺ لجعفر: «**لا أدري بأيهما أنا أَسَرُّ؟! أبفتحِ خيبرَ، أم بقدومِ جعفرَ؟**»، ولما قدم عليه؛ قام وقبَّل ما بين عينيه[٢].

وقد استُشهد بخيبرَ من المسلمين نحوُ عشرينَ رجلًا - رضي الله عنهم جميعِهم -.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[فتحُ فدك][٣]

ولما بلغ أهلَ فَدَكٍ ما فعل رسولُ الله ﷺ بأهلِ خيبرَ؛ بعثوا إليه يطلبونَ الصُّلْحَ، فأجابَهم، فكانت مما لم يُوجِف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[فتحُ وادي القرى]

ورجع إلى المدينةِ على وادي القُرى فافتتحَه، وقيل: إنه قاتَل فيه، فاللهُ أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) لأنه ﷺ ما كان ينتقم لنفسه، لكن لما مات بشر بن البراء تحقق القصاص، فوجب قتل المرأة ببشر رضي الله عنه.

(٢) المستدرك (٢/ ٦٨١)، والمعجم الكبير (٢/ ١٠٨)، ومسند البزار (٤/ ١٥٩).

(٣) فدك: قرية بالحجاز.

[عمرةُ القضاءِ]

ولما رجع ﷺ إلى المدينةِ؛ أقام بها إلى شهرِ ذي القَعْدَةِ، فخرجَ فيه معتمرًا عمرةَ القضاءِ التي قاضَى قريشًا عليها، ومنهم من يجعلُها قضاءً من عمرةِ الحديبيةِ حيث صُدَّ، ومنهم من يقولُ: عمرةُ القَصَاصِ، والكلُّ صحيحٌ.

فسارَ حتى بلغَ مكةَ، فاعتمرَ، وطافَ بالبيتِ، وتحلّلَ من عمرتِه، وتزوجَ بعد إحلالِه بميمونةَ بنتِ الحارثِ – أمِّ المؤمنينَ –، وتمت الثلاثةُ الأيامُ، فبعث إليه المشركونَ عليًا ﷺ، يقولونَ له: اخرجْ من بلدِنا!!

فقال: «**وما عليهم لو بنيتُ بميمونةَ عندَهم؟!**».

فأبَوْا عليه ذلك، وقد كانوا خرجوا من مكةَ حين قَدِمَها ﷺ؛ عداوةً وبغضًا له.

فخرج عليه الصلاةُ والسلامُ فبنى بميمونَة بسَرِف[1]، ورجعَ إلى المدينةِ مؤيدًا منصورًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[بعثُ مؤتـةَ]

ولما كان في جُمادى الآخرةِ من سنةِ ثمانٍ؛ بعثَ ﷺ الأمراءَ إلى مؤتةَ – وهي: قريةٌ من أرضِ الشامِ –؛ ليأخذوا بثأرِ من قُتل هناك من المسلمينَ، فأمّر على الناسِ زيدَ بنَ حارثةَ – مولاه ﷺ –، وقال: «**إن أصيب زيد؛ فجعفر بنُ أبي طالب، فإن أصيب جعفر؛ فعبدُ الله بنُ رواحةَ**»[2].

فخرجوا في نحوِ من ثلاثةِ آلافٍ، وخرج ﷺ معهم يودِّعُهم إلى بعضِ الطريقِ، فساروا، حتى إذا كانوا بِمَعَانَ[3]؛ بلغهم أن هرقلَ ملكَ الرومِ قد خرج إليهم في مائةِ ألفٍ، ومعه مالكُ بنُ زَافِلةَ في مائةِ ألفٍ أخرى من نصارى العربِ.

---

(١) أبو داود (١٨٤٣)، والمستدرك (٦٧٩٦).

(٢) أحمد (٢٢٠٤٥).

(٣) معان: موضع بين الحجاز والشام.

فاشْتَوَرَ(١) المسلمونَ هناك، وقالوا: نكتبُ إلى رسولِ الله ﷺ يأمرُنا بأمرِه أو يمدُّنا، فقال عبدُ الله بنُ رواحةَ رضي الله عنه: يا قومُ! والله؛ إن الذي خرجتُم تطلبونَ أمامَكم - يعني: الشهادةَ -، وإنكم ما تقاتلونَ الناسَ بعَدَدٍ ولا قوةٍ، وما نقاتِلُهم إلا بهذا الدين الذي أكرمَنَا الله به، فانطلِقوا؛ فهي إحدى الحسنيينِ: إما ظهورٌ، وإما شهادةٌ. فوافقه القومُ، فنهضوا.

فلما كانوا بتخومِ البَلْقَاءِ(٢)؛ لقوا جموعَ الرومِ، فنزل المسلمونَ إلى جنبِ قريةٍ مؤتَة، والرومُ على قريةٍ يقال لها: مَشَارِفُ، ثم التقَوا، فقاتلوا قتالًا عظيمًا.

وقُتِلَ أميرُ المسلمين زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنه والرايةُ في يدِه، فتناولها جعفرُ، ونزلَ عن فرسٍ له شقراءَ، فعقرَها، وقاتلَ حتى قُطِعَتْ يدُه اليُمنَى، فأخذَ الرايةَ بيدِه الأخرى فقُطِعَت - أيضًا -، فاحتضَنَ الرايةَ، ثم قُتل رضي الله عنه عن ثلاثٍ وثلاثين سنةً على الصحيحِ.

فأخذ الرايةَ عبدُ الله بنُ رواحَة الأنصاريُّ رضي الله عنه، وتلوَّمَ(٣) بعضَ التلوُّمِ، ثم صَمَّم وقاتلَ حتى قُتل، فيقال: إن ثابتَ بن أقرمَ أخذ الرايةَ وأرادَ المسلمون أن يؤمِّروه عليهم فأبى.

فأخذ الرايةَ خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه فانحازَ بالمسلمينَ، وتلطَّفَ؛ حتى خَلَصَ المسلمون من العدوِّ، ففتحَ الله على يديْهِ؛ كما أخبر بذلك كلّه رسولُ الله ﷺ أصحابَه الذين بالمدينةِ يومئذٍ - وهو قائمٌ على المنبر -، فنَعَى إليهم الأمراءَ واحدًا واحدًا، وعيناه تَذْرِفانِ ﷺ، والحديثُ في «الصحيحِ»(٤).

وجاء الليلُ فكفَّ الكفارُ عن القتالِ.

ومع كثرةِ هذا العدوِّ، وقلةِ عددِ المسلمينَ بالنسبةِ إليهم؛ لم يقتَلْ من المسلمين خلقٌ كثيرٌ على ما ذكرَه أهلُ السيرِ؛ فإنهم لم يذكروا فيما سَمّوا إلا نحوَ العشرةِ.

وكرَّ المسلمونَ راجعين، ووقى الله شرَّ الكفرةِ، وله الحمدُ والمنةُ؛ إلا أنَّ هذه الغزوةَ كانت إرهاصًا لما بعدَها من غزوِ الرومِ، وإرهابًا لأعداءِ الله ورسولِه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) اشتور: تشاور.

(٢) تخوم البلقاء: قرى من أرض الشام.

(٣) تلوَّم: تردد.

(٤) البخاري (٢٧٩٨).

[فتحُ مكةَ]

نذكرُ فيه ملخصَ غزوةِ فتحِ مكةَ التي أكرم اللهُ - عزَّ وجلَّ - بها رسولَه، وأقرَّ عينَه بها، وجعلَها عَلَمًا ظاهرًا على إعلاءِ كلمتِه، وإكمالِ دينِه، والاعتناءِ بنصرتِه.

وذلك أنه لما دخلتْ خُزاعَةُ عامَ الحديبيةِ في عَقْدِ رسولِ الله ﷺ، ودخلتْ بنو بكرٍ في عَقْدِ قريشٍ، وضُربت المدةُ إلى عشرِ سنينَ؛ أَمِنَ الناسُ بعضُهم بعضًا، ومضى من المدةِ سنةٌ، ومن الثانيةِ نحوُ تسعةِ أشهرٍ، فلم تكمُلْ حتى غدا نوفلُ بنُ معاويةَ الدِّيليُّ فيمن أطاعَه من بني بكرِ بنِ عبدِ مَنَاةَ، فبيَّتوا خُزَاعةَ على ماءٍ لهم، يقال له: الوتيرُ، فاقتتلوا هناك بذُحُول[1] كانت لبني بكرٍ على خُزاعةَ من أيامِ الجاهليةِ، وأعانت قريشٌ بني بكرٍ على خزاعةَ بالسلاحِ، وساعَدَهم بعضُهم بنفسِه خفيةً، وفرّتْ خزاعةُ إلى الحرمِ فاتَّبعهم بنو بكرٍ إليه، فذكَّر قومُ نوفلٍ نوفلًا بالحرمِ، وقالوا: اتقِ إلهَك، فقال: لا إله له اليومَ، والله يا بني بكرٍ! إنكم لتسرِقونَ في الحرمِ؛ أفلا تُدركونَ فيه ثأرَكم؟

قلت: قد أسلمَ نوفلٌ هذا بعد ذلك، وعفا اللهُ عنه، وحديثُه مخرَّجٌ في «الصحيحينِ».

وقَتَلوا من خزاعةَ رجلًا يقال له: مُنَبِّه، وتحصَّنتْ خزاعةُ في دورِ مكةَ، فدخلوا دارَ بُدَيلِ بنِ ورقاءَ، ودارَ مولًى لهم يُقال له: رافعٌ؛ فانتقَضَ عهدُ قريشٍ بذلك.

فخرج عمرُو بنُ سالـمٍ الخزاعيُّ وبديلُ بنُ ورقاءَ الخزاعيُّ وقومٌ من خزاعةَ حتى أتوْا رسولَ الله ﷺ، فأعلَموه بما كان من قريشٍ، واستنصروه عليهم، فأجابَهم ﷺ وبشَّرهم بالنصرِ، وأنذرَهم أن أبا سفيانَ سيقدِمُ عليه مؤكِّدًا العَقْدَ، وأنه سيردُّه بغيرِ حاجةٍ؛ فكان كذلك.

وذلك أن قريشًا نَدِموا على ما كان منهم؛ فبعثوا أبا سفيانَ؛ ليشدَّ العَقْدَ الذي بينهم وبين محمدٍ ﷺ، ويزيدُ في الأجلِ.

وذهبَ أبو سفيانَ حتى قدِمَ المدينَة، فدخل على ابنتِه أمِّ حبيبةَ - زوجِ النبيِّ ﷺ، ورضِيَ الله عنها -، فذهبَ ليقْعُدَ على فراشِ رسولِ الله ﷺ؛ فمنعَتْه؛ وقالتْ: إنك رجلٌ مشركٌ نَجِسٌ، فقال: والله يا بنيةُ! لقد أصابَكِ بعدي شرٌّ.

---

(١) ذحول: جمع ذَحْل، وهو الثأر والحقد.

ثم جاء رسولَ الله ﷺ، فعرضَ عليه ما جاء له، فلم يُجبْه ﷺ بكلمةٍ واحدةٍ، ورجع إلى مكةَ، فأعلَمهم بما كان، ثم شرعَ رسولُ الله ﷺ في الجهازِ إلى مكة، وسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يُعمِّيَ على قريشٍ الأخبارَ، فاستجابَ له ربُّه- تبارك وتعالى -؛ وخرج ﷺ لعشرٍ خلوْنَ من رمضانَ، في عشرةِ آلافِ مقاتلٍ؛ من المهاجرينَ والأنصارِ وقبائلِ العربِ، واستخلفَ ﷺ على المدينةِ أبا رُهْمٍ كلثومَ بنَ حُصَيْنٍ.

ولقِيَه عمُّه العباسُ بذي الـحُلَيفةِ، وقيل: بالـجُحْفَةِ، فأسلَمَ، ورجَعَ معه ﷺ، وبعثَ ثِقْلَه[١] إلى المدينةِ.

ولما انتهى ﷺ إلى نيق العُقَابِ[٢]؛ جاءه ابنُ عمِّه أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وعبدُ الله بنُ أبي أميةَ - أخو أمِّ سلمةَ - مسلمَيْنِ، فطردَهما، فشَفَعَتْ فيهما أمُّ سلمةَ، وأبلغَتْه عنهما ما رقَّقه عليهما؛ فَقَبِلَهما، فأسلَما أتمَّ إسلامٍ - رضي الله عنهما -، بعد ما كانا أشدَّ الناسِ عليه ﷺ.

وصام ﷺ حتى بلغَ ماءً يقال له: الكُدَيْد، بين عُسْفَانَ وأَمْج من طريقِ مكةَ، فأفطَر بعد العصرِ على راحلتِه؛ ليراهُ الناسُ، وأرخَصَ للناسِ في الفطرِ، ثم عزمَ عليهم في ذلك.

فانتهى ﷺ حتى نزل بمَرِّ الظهرانَ[٣]، فباتَ به.

وأما قريشٌ؛ فعمّى الله عليها الخبرَ؛ إلا أنهم قد خافوا، وتوهّموا من ذلك، فلما كانت تلك الليلةُ؛ خرجَ ابنُ حربٍ، وبديلُ بنُ ورقاءَ، وحكيمُ بنُ حزامٍ يتجسَّسون الخبرَ، فلما رأَوُا النيرانَ؛ أنكروها، فقال بديلٌ: هي نارُ خُزاعةَ، فقال أبو سفيانَ: خزاعةُ أقلُّ من ذلك.

وركبَ العباسُ بغلةَ رسولِ الله ﷺ ليلتئذٍ، وخرجَ من الجيشِ؛ لعلَّه يلقى أحدًا، فلما سَمِعَ أصواتَهم؛ عَرَفهم، فقال: أبا حنظلةَ! فعرفَه أبو سفيانَ، فقال: أبو الفضلِ؟ فقال: نعم، قال: ما وراءَك؟ قال: ويحَك هذا رسولُ الله ﷺ في الناسِ، واصباحَ قريشٍ!

---

(١) ثقله: ما يخصّه من أهلٍ ومتاع.

(٢) نيق العقاب: موضع قرب الجحفة.

(٣) مرّ الظهران: موضع قريب من مكة.

قال: فما الحيلةُ؟ قال: والله لئن ظفرَ بك؛ ليقتُلَنَّك، ولكنْ اركَبْ ورائي وأسْلِمْ، فركِبَ وراءَه، وانطلقَ به، فمرَّ في الجيشِ، كلما أتى على قومٍ؛ يقولون: هذا عمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلةِ رسولِ الله ﷺ، حتى مرَّ بمنزلِ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ فلما رآه؛ قال: عدوَّ الله؟ الحمدُ لله الذي أمكنَ منك بغيرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، ويُرَكِّضُ العباسُ البغلةَ، ويشتدُّ عمرُ ﷺ في جَرْيِه وكان بطيئًا، فسبقَه العباسُ، فأدخَله على رسولِ الله ﷺ، وجاء عمرُ في أثَرِه، فاستأذنَ رسولَ الله ﷺ في ضَرْبِ عُنُقِه، فأجارَه العباسُ مبادرةً، فتقاوَلَ هو وعمرُ بنُ الخطابِ – رضي الله عنهما –، فأمرَه ﷺ أن يأتِيَه به غدًا. فلما أصبحَ؛ أتى به رسولَ الله ﷺ، فعرضَ عليه الإسلامَ، فتلكّأ قليلًا، ثم زجَره العباسُ فأسلَمَ، فقال العباسُ: يا رسولَ الله! إن أبا سفيانَ يحبُّ الشرفَ، فقال ﷺ: **«من دخل دارَ أبي سفيانَ؛ فهو آمنٌ، ومن أغلَقَ بابَه، فهو آمنٌ، ومن دخلَ المسجدَ الحرامَ؛ فهو آمنٌ»**[(١)].

والغرضُ: أنه ﷺ أصبح يومَه ذلك سائرًا إلى مكةَ، وقد أمَرَ ﷺ العباسَ أن يوقفَ أبا سفيانَ عند خَطْمِ الجبلِ[(٢)]؛ لينظُرَ إلى جنودِ الإسلامِ إذا مرَّتْ عليه.

ودخل رسولُ الله ﷺ مكةَ – وهو راكبٌ على ناقتِه – وعلى رأسِه الـمِغْفَرُ[(٣)]، ورأسُه يكاد يمسُّ مقدمةَ الرحلِ؛ من تواضُعِه لربِّه – عزَّ وجلَّ –.

وقد أمَّنَ ﷺ الناسَ ونزل ﷺ مكةَ واغتسلَ في بيتِ أمِّ هانئٍ، وصلى ثماني ركعاتٍ يُسَلِّمُ من كلِّ ركعتينِ؛ فقيل: إنها صلاةُ الضُّحَى، وقيل: صلاةُ الفتحِ.

وخرجَ ﷺ إلى البيتِ فطافَ به طوافَ قدومٍ، ولم يسْعَ، ولم يكنْ معتمرًا.

ودعا بالمفتاحِ، فدخلَ البيتَ وأمر بإلقاءِ الصورِ ومَحْوِها منه، وأذَّن بلالٌ يومئذٍ على ظهرِ الكعبةِ، ثم ردَّ ﷺ المفتاحَ إلى عثمانَ بنِ طلحةَ بنِ أبي طلحةَ، وأقرَّهم على السدانةِ.

وكان الفتحُ لعشرٍ بقينَ من رمضانَ.

وخطب ﷺ الغدَ من يومِ الفتحِ؛ فبين حرمةَ مكةَ، وأنها لم تُحَلّ لأحدٍ قبلَه، ولا

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٧٦٩)، والطبراني في الكبير (٧٢٦٤)، وهذا المرفوع عند مسلم (١٧٨٠) بغير هذا السياق.

(٢) خطم الجبلِ: مقدّمُه.

(٣) المغفر: درع ينسج على قدر الرأس يُلبس تحت القَلَنسوة.

تحلّ لأحدٍ بعدَه، وقد أُحِلَّتْ له ساعةً من نهارٍ، وهي غيرُ ساعتِه تلك حرامٌ.

وبعثَ ﷺ السرايا إلى مَنْ حولَ مكةَ من أحياءِ العربِ يدعونَهم إلى الإسلامِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[بعثُ خالد إلى العُزَّى]

وكان في تلك البعوثِ بعثُ خالدٍ - أيضًا - إلى العُزّى، وكان بيتًا تعظِّمه قريشٌ وكنانةُ وجميعُ مُضَرَ، فدمَّرها رضي الله عنه من إمامٍ وشُجَاعٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوة حنين]

ولما بلغ فتحُ مكةَ هوازنَ؛ جمعهم مالكُ بنُ عوفٍ النصريُّ، فاجتمعَ إليه ثقيفٌ وقومُه بنو نصرِ بنِ معاويةَ، وبنو جُشمٍ، وبنو سعدِ بنِ بكرٍ، ويسيرٌ من بني هلالِ بنِ عامرٍ، وقد استصْحَبوا معهم أنعامَهم ونساءَهم؛ لئلا يفرُّوا، فلما تحقّق ذلك دُرَيْدُ بنُ الصِّمةِ - شيخُ بني جُشمٍ، وكانوا قد حملوه في هودجٍ؛ لِكِبَرِه تيمنًا برأيِه -؛ أنكر ذلك على مالكِ بن عوفٍ النصريِّ وهَجَنَه، وقال: إنها إنْ كانتْ لك؛ لم ينفَعْك ذلك، وإن كانت عليك؛ فإنَّ المنهزمَ لا يردُّه شيءٌ، وحرَّضَهم على ألا يقاتلوا إلا في بلادِهم، فأبوْا عليه ذلك، واتبعوا رأيَ مالكِ بنِ عوفٍ، فقال دُريدٌ: هذا يومٌ لم أشهَدْه، ولم يَغِبْ عني.

وبعث ﷺ عبدَ الله بنَ أبي حَدْرَدٍ الأسلميَّ، فاستعْلَمَ له خبرَ القومِ وقَصْدَهم؛ فتهيَّأَ رسولُ الله ﷺ للقائِهم، واستعار من صفوانَ بنِ أميةَ أدراعًا؛ قيل: مائةٌ، وقيل: أربعمائةٍ، واقترَضَ منه جملةً من المالِ، وسار إليهم في العشرةِ آلافِ الذين كانوا معه في الفتحِ، وألفينِ من طُلَقاءِ مكةَ، وشهِدَ معه صفوانُ بنُ أميةَ حُنينًا وهو مشركٌ، وذلك في شوالٍ من هذه السنةِ، واستخْلَفَ على مكةَ عَتَّابَ بنَ أسيدٍ، وله نحو عشرين سنة.

ومرَّ ﷺ في مسيرِه ذلك على شجرةٍ يعظمُها المشركونَ، يقال لها: ذاتُ أنواطٍ، فقال بعضُ جهالِ الأعرابِ: اجعَلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ؛ فقال: **«قلتُم - والذي نفسي بيده - كما قال قومُ موسى: اجعلْ لنا إلَهًا كما لهم آلهةٌ، لتركبنَّ سَنَنَ من كان**

قبلكم»[١].

ثم نهضَ ﷺ فوافَى حنينًا - وهو: وادٍ حَدُورٌ[٢] من أوديةِ تِهامَةَ -، وقد كَمَنَتْ[٣] لهم هوازنُ فيه، وذلك في عَمايةِ الصبحِ[٤]، فحمَلوا على المسلمينَ حملةَ رجلٍ واحدٍ؛ فولّى المسلمونَ لا يلوي أحدٌ على أحدٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]؛ وذلك أن بعضهم قال: لن نُغلبَ اليومَ من قِلَّةٍ.

وثبتَ رسولُ الله ﷺ ولم يَفِرّ، ومعه من الصحابةِ: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعليٌّ، وعمُّه العباسُ، وابناه: الفضلُ، وقُثَم، وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ، وابنُه جعفرَ، وآخرون.

وهو ﷺ يومئذٍ راكبٌ بغلتَه التي أهدَاها له فروةُ بنُ نُفَاثَةَ الجذاميُّ، وهو يركضُها إلى وجهِ العدوِّ، والعباسُ آخذٌ بحَكَمَتِها[٥] يكفُّها عن التقدمِ، وهو ﷺ ينوِّه باسمِه، يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»[٦].

ثم أمرَ العباسَ - وكان جهيرَ الصوتِ - أن ينادِيَ: «**يا معشرَ الأنصارِ! يا معشر أصحابِ الشجرةِ! يا معشرَ أصحابِ السمُرةِ!**»، فلما سَمِعه المسلمونَ - وهم فارّونَ -؛ كَرّوا وأجابوه: لبيكَ لبيكَ، وجعل الرجلُ إذا لم يستَطِعْ أن يُثْنِيَ بعيرَه، لكثرةِ المنهزمينَ؛ نزل عن بعيرِه، وأخذ دِرْعَه فلبِسَها، وأخذ سيفَه وتُرسَه، ويرجعُ راجلًا إلى رسولِ الله ﷺ، حتى إذا اجتمعَ حولَه عصابةٌ منهم نحوُ المائةِ؛ استقبلوا هَوَازِنَ، فاجْتَلَدوا هم وإياهم واشتدتِ الحربُ، وألقى الله في قلوبِ هَوَازِنَ الرعبَ حين رجَعوا، فلم يَمْلِكوا أنفسَهم، ورماهم ﷺ بقبضةِ حصًى بيدِه، فلم يبْقَ منهم أحدٌ إلا ناله منها.

---

(١) أحمد (٢١٣٩٠)، والترمذي (٢١٨٠).

(٢) حدور: منحدر.

(٣) كمنت: استخفت.

(٤) عماية الصبح: ظلامه قبل أن يتبين نوره.

(٥) بحكمتها: بلجامها.

(٦) البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

وتفرُّ هَوَازنُ بين يديِ المسلمينَ، ويتبعونَهم؛ يُقتَّلونَ ويأسِرونَ، فلم يرجعْ آخرُ الصحابةِ إلى رسولِ الله ﷺ إلا والأسَارى بين يديهِ، وحازَ ﷺ أموالَـهم وعيالَـهم.

وانحازت طوائفُ من هَوَازِنَ إلى أَوْطَاس[1]، فبعثَ ﷺ إليهم أبا عامرٍ الأشعريَّ - واسمُه: عُبَيدٌ - ومعه ابنُ أخيه أبو موسى الأشعريُّ، حاملًا رايةَ المسلمينَ في جماعةٍ من المسلمين، فَقَتلوا منهم خلقًا، وقُتِل أميرُ المسلمينَ أبو عامرٍ؛ رماه رجلٌ فأصابَ ركبتَه، فكان منها حتفُه، فقَتَل أبو موسى الأشعريُّ قاتِلَه، ولما أخبر أبو موسى رسولَ الله ﷺ بذلك؛ استغفَر ﷺ لأبي عامرٍ.

وكان أبو عامرٍ رابعَ أربعةٍ استُشْهِدوا يومَ حنينٍ، والثاني: أيمنُ ابنُ أمِّ أيمنَ، والثالثُ: يزيدُ بنُ زمعةَ بنِ الأسودِ، والرابعُ: سراقةُ بنُ الحارثِ بنِ عديٍّ، من بني العجلانِ، من الأنصارِ - رضي الله عنهم -.

وأما المشركون؛ فقتل منهم خلقٌ كثيرٌ نحو الأربعينَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ الطائف]

وأما مَلِكُ هَوازنَ - وهو مالكُ بن عوفٍ النَّصرِيُّ -: فإنه حين انهزم جيشُه؛ دخل مع ثقيفٍ حصنَ الطائفِ.

ورجعَ ﷺ من حنينٍ فلم يدخُلْ مكةَ حتى أتى الطائفَ، فحاصَرَهم؛ وفي «الصحيح»[2] عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: فحاصرناهم أربعينَ يومًا - يعني: ثقيفًا -، فاستعْصَوْا وتمنّعوا، وقتلوا جماعةً من المسلمين بالنبلِ وغيرِه.

وقد خربَ ﷺ كثيرًا من أموالِـهم الظاهرةِ، وقطعَ أعنابَهم، ولم ينلْ منهم كبيرَ شيءٍ، فرجع عنهم فأتى الجِعْرَانةَ[3].

فأتاه وفدُ هَوازنَ هنالك مسلمينَ، وذلك قبل أن يُقَسِّمَ الغنائمَ، فخيَّرهم ﷺ بين

---

(١) أوطاس: وادٍ قريب من الطائف.

(٢) مسلم (١٠٥٩).

(٣) الجعرانة: موضع بين مكة والطائف، وهو إلى مكة أقرب.

ذراريهم وبين أموالِهم، فاختاروا الذريةَ، فقال ﷺ: «**أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلبِ؛ فهو لكم**»[(١)].

قال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا؛ فهو لرسولِ الله ﷺ، فَرُدَّتْ الذريةُ على هَوازِنَ، وكانوا ستةَ آلافٍ؛ فيهم الشيماءُ بنتُ الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّى من بني سعدِ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ، وهي أختُ رسولِ الله ﷺ من الرضَاعةِ، فأكرمَها وأعطاها، ورجعتْ إلى بلادِها مختارةً لذلك، وقد كانت هوازنُ متُّوا[(٢)] إلى رسولِ الله ﷺ برضَاعَتِهم إيَّاه.

واعتمرَ ﷺ من الجِعْرانةِ، ودخل مكةَ، فلما قَضَى عمرتَه؛ ارتحَل إلى المدينةِ، وأقام للناسِ الحجَّ عامئذٍ عَتَّابُ بنُ أسيدٍ ﵁، فكان أولَ من حجَّ بالناسِ من أمراءِ المسلمين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[غزوةُ تبوكٍ وهي غزوةُ العسرةِ]

ولما أنزلَ الله – عزَّ وجلَّ – على رسولِه: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ ندبَ رسولُ الله ﷺ أهلَ المدينةِ ومن حولَهم من الأعرابِ إلى الجهادِ، وأعلمَهم بغزوِ الرومِ، وذلك في رجبٍ من سنةِ تسعٍ، وكان لا يريدُ غزوةً إلا ورَّى بغيرِها؛ إلا غزوتُه هذه؛ فإنه صَرَّحَ لهم بها؛ ليتأهَّبوا؛ لشدةِ عدوِّهم وكثرتِه، وذلك حين طابتِ الثمارُ، وكان ذلك في سنةٍ مجدبةٍ، فتأهبَ المسلمونَ لذلك.

وأنفق عثمانُ بنُ عفانَ ﵁ على هذا الجيشِ – وهو جيشُ العسرةِ – مالًا جزيلًا؛ فقيل: ألفُ دينارٍ، وقال بعضُهم: إنه حمل على ألفِ بعيرٍ، ومائةِ فرسٍ، وجهَّزَها أتمَّ جِهَازٍ؛ حتى لم يفقِدُوا عِقَالًا ولا خطامًا.

ونهضَ ﷺ في نحوٍ من ثلاثينَ ألفًا، واستخلفَ على المدينة محمدَ بنَ مَسْلَمةَ، وقيل: سباعَ بنُ عُرْفُطَةَ، وقيل: عليَّ بنُ أبي طالبٍ ﵁.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما عند ابن هشام في السيرة (٤/ ١١٤٧، ١١٤٨).

(٢) متوا إليه: توسلوا إليه.

والصحيحُ: أن عليًا كان خليفةً له على النساءِ والذريةِ؛ ولهذا لما آذاه المنافقونَ، فقالوا: تركَه على النساءِ والذريةِ؛ لحِقَ رسولَ الله ﷺ، فشكَا إليه ذلك، فقال: «ألا ترضَى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسَى؟ غيرَ أنَّه لا نبيَّ بعدِي»[١].

وقد خرجَ معه عبدُ الله بنُ أُبيٍّ رأسُ النفاقِ، ثم رجَعَ من أثناءِ الطريقِ.

وتخلّفَ عن رسولِ الله ﷺ النساءُ والذريةُ ومن عذَره اللهُ من الرجالِ؛ ممن لا يجدُ ظهرًا يركَبُه، أو نفقةً تكْفِيه.

وتخلّفَ منافقونَ كفرًا وعنادًا وكانوا نحوَ الثمانينَ رجلًا.

وتخلّفَ عصاةٌ؛ مثل: مرارةَ بنِ الربيعِ، وكعبِ بنِ مالكٍ، وهلالِ بنِ أميةَ، ثم تاب الله عليهم بعد قدومِه ﷺ بخمسينَ ليلةً.

فسارَ ﷺ، فمرَّ في طريقه بالحِجْرِ؛ فأمرَهم أن لا يدخُلوا عليهم بيوتَهم إلا أن يكونوا باكينَ[٢]، وأن لا يشربوا إلا من بئرِ الناقةِ، وما كانوا عَجَنوا به من غيرِه يُطْعِمُوه للإبلِ، وجازَها ﷺ مُقنِعًا[٣].

فبلغ ﷺ تبوكَ، وفيها عينٌ تبضُّ بشيءٍ من الماءِ قليلٍ، فكثُرتْ ببركتِه، مع ما شُوهدَ من بركةِ دعائِه في هذه الغزوةِ؛ من تكثيرِ الطعامِ الذي كان حاصِلُ الجيشِ جميعِه منه مقدارَ العنزِ الباركةِ، فدعا الله - عزَّ وجلَّ - فأكلُوا منه، وملؤوا كلَّ وعاءٍ كان في ذلك الجيشِ.

وكذا لما عَطِشوا؛ دعا الله تعالى، فجاءت سحابةٌ فأمطَرَتْ، فشَرِبوا حتى رَوَوْا واحتَملوا، ثم وجدوها لم تُجاوز الجيشَ.

في آياتٍ أُخَرَ كثيرةٍ احتاجُوا إليها في ذلك الوقتِ.

ولما انتهى إلى هناكَ؛ لم يلقَ عدوًّا، ورأى أنَّ دخولهم إلى أرضِ الشامِ هذه السنةَ يشقُّ عليهم؛ عزمَ على الرجوعِ، وصالحَ ﷺ يحنةَ بنَ رؤبةَ صاحبَ أيلةَ.

وبعث خالدًا إلى أُكَيْدَرَ دَوْمَةَ، فجيءَ به فصالحَه أيضًا، وردَّه، ثم رجع ﷺ.

---

(١) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (٢٩٨٠).

(٣) البخاري (٣٣٧٩)، ومسلم (٢٩٨١).

وبعدَ رجوعِه أمر بهدْمِ مسجدِ الضِّرارِ، وكان قد أُخْرِجَ من دارِ خِذَامِ بنِ خالدٍ. وهدَمه بأمرِ رسول الله ﷺ: مالكُ بنُ الدخْشُم – أخو بني سالمٍ، أحدُ رجالِ بدرٍ –، وآخرُ معه – اختُلف فيه –، وهو المسجدُ الذي نهى الله رسولَه أن يقومَ فيه أبدًا.

وكان رجوعُه من هذه الغزاةِ في رمضانَ من سنةِ تسعٍ، وأنزلَ الله فيها عامةَ سورةِ التوبةِ، وعاتبَ الله – عزَّ وجلَّ – من تخلفَ عنه ﷺ؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ.... ﴾ الآية والتي تليها، ثم قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠ – ١٢٢].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[قدومُ وفد ثقيف]

وقدِمَ وفدُ ثقيفٍ على رسولِ الله ﷺ في رمضانَ هذه السنةَ، فأسلَموا، فأنزلَهم – عليه الصلاةُ والسلامُ – في المسجدِ، وضربَ لهم فيه قبةً، وكان السفيرُ بينهم وبينَه خالدَ ابنَ سعيدِ بنِ العاصِ.

فكان الطعامُ يأتيهم من عندِ النبيِّ ﷺ، فلا يأكلونَ حتى يأكُلَ خالدٌ قبلَهم.

فأسلَموا، واشترَطوا أن يبقى عندَهم طاغيتُهم؛ وهي اللاتُ، وأن لا تُهدمَ فلم يُجبْهم ﷺ إلى ذلك، وسألوا أن يُخَفِّفَ عنهم بعضَ الصلواتِ؛ فلم يُجِبْهم إلى ذلك، فسألوا أن لا يَهْدِموا بأيديهم طاغيتَهم؛ فأجابَهم إليه، وبعثَ معهم أبا سفيانَ – صخرَ ابنَ حربٍ – والمغيرةَ بنَ شعبةَ لهدْمِها، فَهَدَماها؛ وعظُم ذلك على نساءِ ثقيفٍ، واعتقدوا أن يُصِيبَهم منها سوءٌ! وقد طنَزَ[1] بهم المغيرةُ بنُ شعبةَ حين هدَمها، فَخَرَّ صريعًا، وذلك بتواطؤٍ منه ومن أبي سفيانَ؛ ليوهِمَهم أنَّ ذلك منها، ثم قام يُبَكِّتُهم ويُقَرِّعُهم ﷺ فأسلَموا وحسُنَ إسلامُهم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) طنز: سخر.

[حِجَّةُ أبي بكرٍ الصديقِ]

وبعثَ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ ؓ أميرًا على الحجِّ هذه السنةَ، وأردَفَه عليًا رضي الله عنه بسورةِ براءةِ: «أن لا يحجَّ بعد العامِ مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عُريانُ»[١]، ونبذَ إليهم عهودَهم؛ إلا من كان ذا عهدٍ مقدَّرٍ؛ فعهدُه إلى مدتِه.

وتواترتِ الوفودُ هذه السَنةَ وما بعدَها على رسولِ الله ﷺ، مذعنةً بالإسلام، داخلينَ في دينِ الله أفواجًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

وبعثَ ﷺ معاذَ بنَ جبلٍ إلى اليمنِ ومعه أبو موسى الأشعريُّ -رضي اللهُ عنهما-.

وبعث الرسلَ إلى ملوكِ الأقطارِ يدعُوهم إلى الإسلامِ؛ فانتشرت الدعوةُ، وعلت الكلمةُ، وجاء الحقُّ، وزَهَقَ الباطلُ؛ إن الباطلَ كان زهوقًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[حجةُ الوداع]

صلى رسولُ الله ﷺ الظهرَ يومَ الخميسِ، لِستٍّ بقينَ من ذي القَعْدَةِ من سنةِ عشرٍ بالمدينةِ، ثم خرجَ منها بمن معه من المسلمينَ من أهلِ المدينةِ ومن تجمَّع من الأعرابِ، فصلَّى العصرَ بذي الـحُلَيفَةِ[٢] ركعتينِ، وباتَ بها.

وأتاه آتٍ من ربِّه -عزَّ وجلَّ- في ذلك الموضعِ -وهو وادي العقيقِ- يأمرُه عن ربِّه -عزَّ وجلَّ- أن يقولَ في حَجتِه هذه: «عمرةٌ في حَجّةٍ»[٣].

ومعنى هذا: أن الله أمره أن يقْرِنَ الحجَّ مع العمرةِ، فأصبحَ ﷺ، فأخبر الناسَ بذلك، وطاف على نسائِه يومئذٍ بغسلٍ واحدٍ -وهنّ تسعٌ، وقيل: إحدى عشرةَ-، ثم اغتسلَ وصلَّى في المسجدِ ركعتينِ، وأهلَّ بحجةٍ وعمرةٍ معًا؛ وساق ﷺ الهديَ من ذي

---

(١) البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧).

(٢) ذو الحليفة: موضع بينه وبين المدينة سبعة أميال، وهو ميقات أهل المدينة.

(٣) البخاري (١٥٣٤)، ومسلم (١٢٥١). وفي الأصل: «حجة في عمرة» والصواب ما أثبت.

الـحُليفةِ، وأمر من كان معه هديٌ أن يهلَّ كما أهلَّ ﷺ.

وسار ﷺ والناسُ بين يديه وخلفَه، وعن يمينِه وشمالِه، أممًا لا يُحْصَوْنَ كثرةً، كلُّهم قدِم؛ ليأتمَّ به ﷺ.

فلما قدِمَ ﷺ مكةَ؛ طاف للقدومِ، ثم سَعَى بين الصَّفَا والمروةِ، وأمر الذين لم يسوقوا هديًا أن يفْسَخُوا حجَّهم إلى عمرةٍ، ويتحلَّلوا حِلًّا تامًّا، ثم يهلُّوا بالحجِّ وقتَ خروجِهم إلى منًى، وقال: «لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ؛ ما سقتُ الهدي، ولجعلتُها عمرة»(١).

وقَدَّمَ عليٌّ ﷺ من اليمنِ هديًا، فأشرَكه في هديِه -أيضًا-، وكان حاصِلُها مائةَ بدنةٍ.

ثم خرجَ ﷺ إلى منًى، فباتَ بها، وكانت ليلةَ الجمعةِ؛ التاسعَ من ذي الحِجَّةِ.

ثم أصبحَ، فسار إلى عرفَةَ، وخطبَ بنَمِرَةَ خطبةً عظيمةً، شهِدَها من أصحابِه نحوٌ من أربعينَ ألفًا -رضي الله عنهم أجمعين-، وجَمَعَ بين الظهرِ والعصرِ ثم وقف بعرفةَ، ثم بات بالمزدلفةِ، وجمع بين المغربِ والعشاءِ ليلتئذٍ، ثم أصبحَ، فصلَّى الفجرَ في أولِ وقتِها.

ثم سار قبل طلوعِ الشمسِ إلى منًى، فرمى جمرةَ العقبةِ، ونحَرَ، وحلَقَ، ثم أفاضَ، فطافَ بالبيتِ طوافَ الفرضِ وهو طوافُ الزيارةِ، ثم حلَّ من كلِّ شيءٍ حُرِمَ منه ﷺ.

وخطبَ ثاني يومِ النحرِ خطبةً عظيمةً -أيضًا-، ووصَّى وحذَّر وأنذَرَ وأشهدَهم على أنفسِهم أنه بلغَ الرسالةَ.

فنحن نشهَدُ أنه بلغَ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ صلَّى اللهُ عليه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدينِ.

ثم أقبلَ ﷺ منصرِفًا إلى المدينةِ، وقد أكمل الله له دينَه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١٨).

[مرضُه ووفاته ﷺ]

فأقام بها بقيةَ ذي الحِجةِ والمحرمَ وصفرًا، ثم ابتدأ به وجَعُه ﷺ في بيتِ ميمونةَ يومَ خميسٍ، وكان وجعًا في رأسِه الكريمِ، وكثيرًا ما كان يعتريه الصداعُ – عليه الصلاةُ والسلامُ –، فجعل مع هذا يدورُ على نسائِه حتى شقَّ عليه، فاستأذنهنَّ أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشةَ – رضي الله عنها – فأَذنَّ له.

فمكثَ وجِعًا اثنَيْ عشرَ يومًا، وقيل: أربعةَ عشرَ يومًا.

والصديقُ ﷺ يصلّي بالناسِ بنصِّه ﷺ عليه، واستثنائِه له من جيشِ أسامةَ الذي كان قد جَهَّزه ﷺ إلى الشامِ؛ لغزوِ الرومِ.

فلما حصَلَ الوجَعُ؛ تربّصُوا؛ لينظروا ما يكونُ من أمرِه ﷺ، وقد صلَّى – عليه الصلاةُ والسلامُ – خلفَ الصديقِ جالسًا.

وقُبِضَ ﷺ ضحًى يومَ الإثنينِ من ربيعٍ الأولِ؛ فالمشهورُ: أنه الثاني عشرَ منه، وقيل: مُسْتَهَلّه، وقيل: ثانيه، وقيل: غيرُ ذلك.

وكان عمرُه يومَ ماتَ ﷺ ثلاثًا وستين سنةً، على الصحيحِ.

فاشتدت الرَّزِيةُ بموتِه ﷺ، وعظُمَ الخطبُ وجلَّ الأمرُ، وأُصيبَ المسلمونَ بنبيِّهم.

وأنكر عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ ذلك، وقال: إنه لم يَمُتْ، وإنه سيعودُ كما عاد موسى لقومِه؛ وماج الناسُ.

وجاء الصديقُ المؤيَّدُ المنصورُ ﷺ أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا–؛ فأقام الأَوَدَ[1]، وصدعَ بالحقِّ، وخطب الناسَ، وتلا عليهم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فكأنَّ الناسَ لم يسمعوها قبلَ ذلك، فما من أحدٍ إلا يتلوها.

ثم شَرَعوا في جهازِ رسولِ الله ﷺ فغسَّلوه في قميصِه، وكان الذي تولَّى ذلك عمُّه العباسُ، وابنُه قُثَمُ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وشُقْرانُ – مولياه – يصبَّانِ

---

(١) أقام الأود: قوَّم الاعوجاج.

الماءَ، وساعدَ في ذلك أوسُ بنُ خَوْلي الأنصاريُّ البدريُّ – رضي الله عنهم أجمعين –.

وكفّنوه في ثلاثةِ أثوابٍ قطنٍ سَحُوليَّة[١] بيضٍ، ليس فيها قميصٌ، ولا عِمامةٌ.

وصلّوا عليه أفذاذًا واحدًا واحدًا؛ لحديثٍ جاء في ذلك، رواه البزارُ[٢] – واللهُ أعلمُ بصحَّتِه –: أنه ﷺ أمرَهم بذلك.

وقال الشافعيُّ: إنما صلّوا عليه مرةً بعد مرةٍ أفذاذًا؛ لعِظَمِ قَدْرِه، ولتَنَافُسِهم أن يؤمَّهم عليه أحدٌ.

ودُفنَ ﷺ يومَ الثلاثاءِ، وقيل: يومَ الأربعاءِ سَحَرًا، في الموضعِ الذي تُوُفّي فيه من حُجْرَةِ عائشةَ؛ لحديثٍ رواه الترمذيُّ عن أبي بكرٍ ﵁[٣]؛ وهذا هو المتواترُ تواترًا ضروريًّا، معلومًا من الدفنِ الذي هو اليومَ داخلَ مسجدِ المدينةِ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[حَجُّه واعتمارُه ﷺ]

لم يحجّ ﷺ بعدما هاجَرَ إلا حجَّتَه هذه، وهي حجةُ الإسلامِ وحجةُ الوداعِ.

وأما عُمَرُه؛ فكنَّ أربعًا: الحديبيةُ التي صُدَّ عنها، وعمرةُ القضاءِ بعدها، ثم عُمرةُ الجِعْرَانةَ، ثم عُمرتُه التي مع حَجَّتِه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[عددُ غزواته وبعوثِه]

أما غزواتُه؛ فروى مسلمٌ من حديثِ عبدِ الله بنِ بريدةَ بنِ الحصيبِ الأسلميّ، عن أبيه؛ قال: «غزا رسول الله ﷺ تسعَ عشرةَ غزوةً، قاتل في ثمانٍ منهن»[٤].

وأما محمدُ بنُ إسحاقَ؛ فقال: كانت غزواتُه التي خرج فيها بنفسِه سبعًا وعشرينَ،

---

(١) سحولية: نسبة إلى سحول، قرية باليمن.

(٢) كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٨٤٧).

(٣) الترمذي (١٠١٨).

(٤) مسلم (١٨١٤).

وكانت بعوثُه وسراياه ثمانيًا وثلاثينَ، وزاد ابنُ هشام في البعوثِ على ابنِ إسحاقَ، واللهُ أعلمُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[في أعلامِ نبوته ﷺ]

وقد جمع الأئمةُ في ذلك ما زادَ على ألفِ معجزةٍ.

[القرآن الكريم]:

فمن أبهرِها وأعظمِها: القرآن العزيزُ، الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وإعجازُه من جهةِ لفظِه ومعناه:

* **أما لفظه**؛ ففي أعلى غاياتِ فصاحةِ الكلامِ، وكلُّ من ازدادتْ معرفتُه بهذا الشأنِ؛ ازداد للقرآنِ تعظيمًا في هذا البابِ، وقد تحدى الفصحاءَ والبلغاءَ في زمانِه- مع شدةِ عداوتِهم له، وحرصِهم على تكذيبِه -؛ بأن يأتوا بمثلِه، أو بعَشْرِ سُوَرٍ من مثلِه، أو بسورةٍ، فعجَزوا، وأخبرهم أنهم لا يُطيقون ذلك أبدًا، بل قد تحدَّى الجنَّ والإنسَ قاطبةً على أن يأتوا بمثلِه؛ فعجَزوا، وأخبرهم بذلك، فقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، إلى غيرِ ذلك من الوجوهِ المثبتةِ لإعجازِه.

* **وأما معناه**؛ فإنه في غايةِ التعاضُدِ والحكمةِ، والرحمةِ والمصلحةِ، والعاقبةِ الحميدةِ والاتفاقِ، وتحصيلِ أعلى المقاصدِ، وتبطيلِ المفاسدِ، إلى غيرِ ذلك مما يظهرُ لمن له لبٌّ وعقلٌ صحيحٌ، خالٍ من الشُّبَهِ والأهواءِ؛ نعوذُ بالله منها، ونسألُه الهدَى.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[أماراتُ صِدْقِ نبوته ﷺ]

ومن ذلك: أنه نشأ بين قومٍ يعرفونَ نسبَه ومَرْبَاه ومدخَلَه ومخرجَه، يتيمًا بين أظهرِهم، أمينًا صادقًا، بارًّا راشدًا، كلُّهم يعرفُ ذلك ولا ينكِرُه إلا من عانَدَ وسفسَطَ[١] وكابرَ.

وكان أُميًّا لا يحسِنُ الكتابةَ، ولا يُعَانِيها[٢] ولا أهلَها، وليس في بلادِهم من علمِ الأولينَ، ولا من يعرفُ شيئًا من ذلك، فجاءَهم على رأسِ أربعينَ سنةً من عُمرِه يخبرُ بما مضَى مفصَّلًا مبينًا، يشهدُ له علماءُ الكتبِ المتقدِّمةِ - البصيرونَ بها المهتدونَ - بالصدقِ.

بل أكثرُ الكتبِ المنزلةِ قبلَه قد دخلَها التحريفُ والتبديلُ، ويجيءُ ما أنزلَ الله عليه مبينًا لذلك مهيمنًا عليه، دالًّا على الحقِّ منه.

وهو مع ذلك في غايةِ الصدقِ والأمانةِ، والسمتِ الذي لم يَرَ أولو الألبابِ مثلَه ﷺ، والعبادةِ لله، والخشوعِ له، والذّلِّ، والدعاءِ إليه، والصبرِ على أذى من خالفَه واحتمالِه، وزهدِه في الدنيا، وأخلاقِه السَّنِيَّةِ الشريفةِ: من الكرمِ، والشجاعةِ، والحياءِ، والبرِّ، والصلةِ ﷺ، إلى غير ذلك من الأخلاقِ التي لم تجتَمِعْ في بشرٍ قبلَه ولا بعدَه إلا فيه.

فبالعقل يُدرَكُ أن هذا يستحيلُ أن يكذِبَ على أدنى مخلوقٍ بأدنى كذبةٍ؛ فكيفَ يمكنُ أن يكونَ مثل هذا قد كذبَ على الله ربِّ العالمين، الذي قد أخبرَ هو بما لديْهِ من أليمِ العقابِ، وما لمن كذَبَ عليه وافترى؟! هذا لا يصدُرُ إلا من شرِّ عبادِ الله وأجرئِهم وأخبثِهم.

ومثلُ هذا لا يخفَى أمرُه على الصبيانِ في المكاتبِ؛ فكيف بأولي الأحلامِ والنُّهى، الذين بذلوا أنفسَهم وأموالَهم، وفارقوا أولادَهم وأوطانَهم وعشائرَهم في حُبِّه وطاعتِه؟! - رضي الله تعالى عنهم، وصلَّى الله عليه وسلم ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ -.

ومن ذلك: ما أخبرَ ﷺ به في هذا القرآنِ العظيم، وفيما صحَّ عنه من الأحاديثِ، من الغيوبِ المستقْبَلةِ المطابقةِ لخبرِه حذوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ[٣] مما يطولُ استقصاؤُه هاهنا.

ومن ذلك: ما أظهَرَه الله تعالى على يديهِ من خَوَارقِ العاداتِ الباهرةِ؛ فمن ذلك:

---

(١) سفسط: غالط وضلّل.

(٢) لا يعانيها: لا يكابد في تعلمها.

(٣) القُذَّة: ريشة الطائر والمعنى أنها تطابق خبره تمام التطابق.

ما أخبر الله - عزَّ وجلَّ - عنه في كتابِه العزيزِ من انشقاقِ القمرِ، وذلك أن المشركينَ سألوه آيةً - وكان ذلك ليلًا - فأشار إلى القمرِ؛ فصار فِرْقتَينِ.

فسألوا مَنْ حولَهم من الأحياءِ؛ لئلا يكون قد سَحَرَهم، فأخبروهم بمثلِ ما رَأَوْا؛ وهذا متواتِرٌ عنه عند أهلِ العلمِ بالأخبارِ، وقد رواه غيرُ واحدٍ من الصحابةِ - رضي اللهُ عنهم أجمعين -.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

[استجابةُ دعائه ﷺ]

ومن ذلك: ما ظهر ببركةِ دعائِه في أماكنَ يطولُ بسطُها، وتضيقُ مجلداتٌ عديدةٌ عن حَصْرِها.

فمن ذلك: أنه دعا الله على السبعةِ الذي سَخِروا منه وهو يُصَلِّي؛ فقُتِلوا ببدرٍ.

ودعا على سُراقَةَ؛ فساخَتْ يدا فرسِه في الأرضِ، ثم دعا الله فأُطْلِقتا.

وأطعَمَ يومَ الخندقِ الجمَّ الغفيرَ الذين يقاربونَ ألفًا: من سَخْلَةٍ[1] وصاعِ شعيرٍ ببيتِ جابرٍ.

وأما يومُ تبوكٍ؛ فكان أمرًا هائلًا: أطعمَ الجيشَ، ومَلَؤوا كلَّ وعاءٍ معهم؛ من قَدْرِ رَبْضَةِ العَنْزِ[2] طَعَامًا.

ودعا الله تعالى لما قَحَطوا، فلم ينزل عنِ المنبرِ؛ حتى تحدَّر الماءُ على لحيته ﷺ من سَقْفِ المسجدِ، وقد كان قبلَه لا يُرى في السماءِ سحابةٌ، ولا قَزَعةٌ[3]، ولا قدرُ الكفِّ، ثم لما استصْحَى لهم؛ انجابَ السحابُ عن المدينةِ؛ حتى صارت المدينةُ في مثلِ الإكليلِ.

ودعا اللهَ على قريشٍ؛ فأصابَهم من الجهدِ ما لا يعبّر عنه؛ حتى استرحموه، فعطفَ عليهم؛ فأفرجَ عنهم.

---

(١) سخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز.

(٢) ربضة العنز: مبركها.

(٣) قزعة: قطعة من السحاب.

وأُتي بإناءٍ فيه ماءٌ؛ ليتوضَأَ به، فرغِبَ إليه أقوامٌ هناك أن يتوضَّئوا معه، فوضَعَ يده في ذلك الإناءِ، فما وسِعَها، ثم دعا الله؛ فنبع الماءُ من بينِ أصابعِه ﷺ.

وكذلك فعل يومَ الحديبيةِ، وكان الجيشُ ألفًا وأربعمائةٍ، قال جابرٌ: ولو كنا مائةَ ألفٍ لكفَانا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[الإخبارُ بالغيوبِ المستقبَلةِ]

* وقد أخبر بالغيوبِ المستقبلةِ المطابقةِ لخبرِه؛ كما أخبر اللهُ – عزَّ وجلَّ – في كتابِه من إظهارِ دينه، وإعلاءِ كلمتِه، واستخلافِ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ من أمتِه في الأرضِ؛ وكان كذلك.

* وأخبر بغلبةِ الرومِ فارسَ في بضعِ سنينَ، وكان كذلك.

* وأخبر يومَ بدرٍ قبلَ الوقعةِ بيومٍ بمصارعِ القتلَى واحدًا وحدًا؛ فكان كما أخبر سواءً بسواءٍ.

* وأخبر أن كنوزَ كِسْرى وقيصَرَ ستُنفَقُ في سبيلِ الله؛ فكان كذلك.

* وأخبر بأنه لا تقومُ الساعةُ حتى تُقَاتِلَ أمتُه قومًا صغارَ الأعينِ ذُلْفَ الأنوفِ[1]، كأن وجوهَهم الـمِجَانُّ الـمُطَرَّقَةُ، وهذه حِلْيَةُ التتارِ، فكانَ كذلك.

* وأخبر أن الحسنَ بنَ عليٍّ ﷺ سيُصلِحُ اللهُ به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمينَ؛ فكان كذلك.

* وأخبر بخروجِ نارٍ من أرضِ الحجازِ تضيءُ لها أعناقُ الإبلِ بِبُصْرَى، وكان ظهورُ هذه في سنةِ بضعٍ وخمسينَ وستمائةٍ، وتواترَ أمرُها، وأُخبرتُ عمَّن شاهدَ إضاءةَ أعناقِ الإبلِ ببُصرى؛ فصلى اللهُ على رسولِه كلما ذكره الذاكرون.

* وأخبر بجزئياتٍ كانتْ وتكونُ بين يدي الساعةِ يطولُ بسطُها، وفيما ذكرنا كفايةٌ – إن شاء الله تعالى – وبه الثقةُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) ذلف الأنوف: صغار الأنوف.

[بشارة الكتبِ المتقدّمة برسولِ الله ﷺ]

* وفي الكتبِ المتقدّمةِ البشارةُ به؛ كما أخبر اللهُ تعالى أن ذلك في التوراةِ والإنجيلِ مكتوبٌ، وكما أخبر عن نبيِّه عيسى – عليه السلامُ – أنه قال: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وروى البخاريُّ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو أنه وجد صفتَه ﷺ في التوراةِ وذكرَها.

* وفي التوراةِ – اليومَ التي يُقِرُّ اليهودُ بِصِحَّتِها – في السِّفْرِ الأولِ: أن الله تعالى تجلَّى لإبراهيمَ، وقال له ما معناه: قم فاسلُكْ في الأرضِ طولًا وعرضًا لولدِك تعظيمًا.

ومعلومٌ أنه لم يملِكْ مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها إلا محمدٌ ﷺ؛ كما جاء في «الصحيحِ» عنه؛ أنه قال: «**إن الله زَوَى لِيَ الأرضَ؛ فرأيتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وسيبلغُ مُلْكُ أمتي ما زُوِيَ لي منها**»(١).

* **ومن ذلك**: ما خُتمت به التوراةُ في آخرِ السفرِ الخامسِ ما معناه: «جاء الله من سيناءَ، وأشرقَ من ساعيرَ، واستعلى من جبالِ فارانَ».

ومعنى هذا: أن الله جاء شرعُه ونوره من طورِ سيناءَ الذي كلَّم موسى عليه، وأشرقَ من ساعيرَ – وهو الجبلُ الذي وُلدَ به عيسى – عليه الصلاةُ والسلامُ – وبُعث فيه، واستعْلَى من جبالِ فارانَ – وهي مكةُ –؛ بدليلِ أنَّ الله أمرَ إبراهيمَ ﷺ أن يذهبَ بإسماعيلَ إلى جبالِ فارانَ.

وقد استشْهَدَ بعضُ العلماءِ على صحةِ هذا: بأنَّ الله – سبحانَه – أقسمَ بهذه الأماكنِ الثلاثةِ، فَتَرَقَّى من الأدنَى إلى الأعلى في قولِه تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ١ – ٣].

ففي التوراة ذكرُهنَّ بحسبِ الوقوعِ الأولُ فالأولُ، وبحسبِ ما ظهرَ فيهنَّ من النورِ، وفي القرآنِ لما أقسمَ بهنَّ؛ ذكرَ منزِلَ عيسى، ثم موسى، ثم محمدٍ – صلاةُ الله وسلامُه عليهم أجمعين –؛ لأن عادةَ العربِ إذا أقسمتْ تَرَقَّتْ من الأدنَى إلى الأعلى.

* وكذا زبورُ داودَ – عليه السلام – والنبوءاتُ الموجودة الآن بأيدي أهلِ الكتابِ، فيها

---

(١) مسلم (٢٨٨٩).

البشاراتُ به ﷺ؛ كما يُخبر بذلك من أسلمَ منهم قديمًا أو حديثًا.

* وفي الإنجيلِ ذكرُ (الفارقليطَ) موصوفًا بصفاتِ محمدٍ ﷺ سواءً بسواءٍ.

* وأما كلامُ أشعيَا وأرميَا؛ فظاهرٌ جدًّا لكلٍّ من قرأه، ولله الحمدُ والمنةُ والحجةُ البالغةُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[أولادُه ﷺ]

فأما أولادُه؛ فذكورُهم وإناثُهم من خديجةَ بنتِ خويلدٍ - رضي الله عنها -؛ إلا إبراهيمَ؛ فمن ماريةَ القبطيةِ، وهم:

القاسمُ، وبه كان يُكنَى؛ لأنه أكبرُ أولادِه، ثم زينبُ، ثم رقيةُ، ثم أمُّ كلثومٍ، ثم فاطمةُ.

ثم بعد النبوة: عبدُ الله، ويقال له: الطيبُ، والطاهرُ؛ لأنه وُلد في الإسلامِ. وقيل: الطاهرُ غيرُ الطيبِ. وصحَّح ذلك بعضُ العلماءِ.

ثم إبراهيمُ من ماريةَ، وُلد له ﷺ بالمدينةِ في السنةِ الثامنةِ، وتُوُفِّي عن سنةٍ وعشرةِ أشهرٍ؛ فلهذا قال ﷺ: «إن له مُرْضِعًا في الجنةِ»[1].

وكلُّهم مات قبلَه ﷺ؛ إلا فاطمةُ - رضي الله عنها -؛ فإنها تُوُفِّيتْ بعدَه بيسيرٍ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[في زوجاته رضي الله عنهنَّ]

* أولُ من تزوَّجَ ﷺ: خديجةُ بنتُ خويلدٍ - رضي اللهُ عنها -؛ فكانت وزيرَ صدقٍ له لما بُعثَ؛ وهي أولُ من آمنَ به على الصحيحِ.

ولم يتزوجْ في حياتِها بسواها؛ لجلالَتِها، وعِظَمِ محَلِّها عندَه.

وقد ماتتْ قبلَ الهجرةِ.

* ثم تزوَّج سَوْدَةَ بنتَ زمعةَ القرشيةَ العامريةَ بعد موتِ خديجةَ بمكةَ، ودخَل بها هناك.

وتوفِّيَتْ في آخرِ أيامِ أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ﵁.

---

(١) البخاري (١٣٨٢)، ومسلم (٢٣١٦).

* وقيل: تزوَّجَ عائشةَ قبلَ سودةَ، ولكنه لم يَبْنِ بها إلا في شوالٍ من السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ، ولم يتزوجْ بِكْرًا سواها، ولم يأتِه الوحيُ في لحافِ امرأةٍ من نسائِه سواها.
ولم يُحبَّ أحدًا من النساءِ مثلَها، وقد كانت لها مآثرُ وخصائصُ ذُكرتْ في القرآنِ والسُّنةِ.
ولا يُعلمُ في هذِه الأمةِ امرأةٌ بلغتْ من العلمِ مبلغَها، وتوفِّيَتْ سنةَ سبعٍ، وقيل: ثمانٍ وخمسينَ.

* ثم تزوَّجَ حفصةَ بنتَ عمرَ بنِ الخطابِ - رضي الله عنهما - في السنةِ الثالثةِ من الهجرةِ، وقد طَلَّقها ﷺ ثم راجَعَها، وتوفِّيَتْ سنةَ إحدى وأربعينَ، وقيل: وخمسينَ، وقيل: سنة خمسٍ وأربعين.

* ثم تزوَّجَ أمَّ سلمةَ، واسمُها: هندُ بنتُ أبي أميةَ القرشيةُ، وذلك بعد وفاةِ زوجِها أبي سلمةَ عبدِ الله بنِ عبدِ الأسدِ، مرجعَه من بدرٍ.
فلما انقضَتْ عِدَّتُها؛ خَطَبها ﷺ وهذا يقتَضِي أن ذلك أولُ السنةِ الثالثةِ.
قال الواقديُّ: توفِّيتْ سنةَ تسعٍ وستينَ.
وقال غيرُه: في خلافةِ يزيدَ بنِ معاويةَ سنةَ اثنتينِ وستينَ.

* ثم تزوَّج زينَبَ بنتَ جحْشٍ في سنةِ خمسٍ من ذي القَعْدَةِ، وفي صبيحةِ عُرْسِها نزل الحجابُ؛ كما أخرجَاه في «الصحيحينِ»[1] عن أنسٍ، وأنه حَجَبَه حينئذٍ، وقد كان عُمُرُ أنسٍ لما قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ: عشرًا؛ فدلَّ على أنَّه كان قد استكمَلَ خمسَ عشرةَ سنةً، واللهُ أعلمُ.
وقد كان وليَّها اللهُ - سبحانه وتعالى - دونَ الناسِ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].
وروى البخاريُّ في «صحيحِه» بسندٍ ثلاثيٍّ: أنها كانت تفخَرُ على نساءِ رسولِ الله ﷺ، وتقولُ: زوَّجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجَني اللهُ في السماءِ[2].
وكانتْ أولَ أزواجِ رسولِ الله ﷺ وفاةً.
قال الواقديُّ: توفِّيَتْ سنةَ عشرينَ، وصلَّى عليها عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه.

---

(١) البخاري (٤٧٩٣)، ومسلم (١٤٢٨).
(٢) البخاري (٧٤٢٠).

* **ثم تزوَّجَ جُوَيْرِيةَ بنتَ الحارثِ بنِ أبي ضِرارٍ المصْطَلَقيةَ**، وذلك أنه لما غَزَا قومَها في سنةِ ستٍّ بالماءِ الذي يُقال له: الـمُرَيْسِيعُ؛ وقعتْ في سهمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمّاسٍ، فكاتَبَها، فجاءتْ رسولَ الله ﷺ تستعينُه في كِتَابَتِها، فاشتَرَاها، وأعتقَها، وتزوَّجَها.

قيل: إنها تُوُفِّيَتْ سنةَ خمسينَ، وقال **الواقدي**: سنةَ ستٍّ وخمسينَ.

* **ثم تزوَّجَ صفيةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطبَ الإسرائيليةَ الهارونيةَ النضْرِيةَ، ثم الخيبَرِيَّةَ** - رضي الله تعالى عنها -، وذلك أنه ﷺ اصْطَفَاها من مَغَانِمِ خيبرَ، وقد كانت في أوائِلِ سنةَ سبعٍ، فأعتَقَها وجعلَ ذلك صَدَاقَها.

فلَمَّا حَلَّت في أثناءِ الطريقِ؛ بَنَى بها، وحَجَبَها، فَعَلِموا أنها من أمهاتِ المؤمنينَ.

قال الواقديُّ: توفِّيَتْ سنةَ خمسينَ، وقال غيرُه: سنةَ ستٍّ وثلاثينَ، واللهُ أعلمُ.

* **وفي هذه السنةِ - وقيل: في التي قَبْلَها، سنةَ ستٍّ - تزوَّجَ من أمِّ حبيبةَ**، واسمُها: رملةُ بنتُ أبي سفيانَ؛ صَخْرِ بنِ حربِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ، الأمويةِ.

خَطَبَها عليه عمرُو بنُ أميةَ الضَّمْريُّ، وكانت بالحبشَةِ، وذلك حين تُوُفِّي عنها زوجُها عبيدُ الله بنُ جحشٍ، فَوَلِيَ عَقْدَها منه خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، وقيل: النجاشيُّ، والصحيحُ الأولُ.

ولكنْ أمهَرَها النجاشِيُّ عن رسولِ الله ﷺ أربعمائةَ دينارٍ، وجهَّزَها، وأرسلَ بها إليه ﷺ.

وتوفِّيَتْ أمُّ حبيبةَ - رضي الله عنها- سنةَ أربعٍ وأربعينَ فيما قاله أبو عُبيدٍ، وقال أبو بكرِ بنُ أبي خيثمةَ: سنةَ تسعٍ وخمسينَ قبلَ أخيها معاويةَ بسنةٍ.

* **ثم تزوَّجَ في ذي القَعْدَةِ من هذه السنةِ ميمونةَ بنتَ الحارثِ الهلاليةَ.**

وماتت بسَرِف، حيثُ بَنَى بها رسولُ الله ﷺ مُنْصَرَفَه من عمرةِ القَضَاءِ، وكان موتُها سنةَ إحدى وخمسينَ، وقيل: سنةَ ثلاثٍ، وقيل: ستٍّ وستينَ، وصلى عليها ابنُ أختِها: عبدُ الله بنُ عباسٍ - رضي اللهُ عنهما -.

فهؤلاءِ التسعُ بعدَ خديجةَ اللواتي جاء في «الصحيحينِ»(١) أنه ﷺ ماتَ عنهن.

وقد كان له من السَّراري اثنتانِ؛ وهما: ماريةُ بنتُ شمعونَ القبطيةُ، أمُّ إبراهيمَ؛ ولدِ رسولِ الله ﷺ، أهدَاها له المقوقِسُ صاحبُ إسكندريةَ ومصرَ، ومعها أختُها شيرين.

---

(١) البخاري (٢٨٤)، ومسلم (١٤٦٢).

وخَصِيٌّ يقال له: مَأْبور، وبغلةٌ يقال لها: الدُّلْدُل، فوهبَ ﷺ شيرينَ إلى حسانَ بنِ ثابتٍ، فولدَتْ له عبدَ الرحمنِ.

وتوفِّيَتْ ماريةُ في محرمِ سنةَ ستَّ عشرةَ، فكان عمرُ بنُ الخطابِ ؓ يحشُر الناسَ لجنازَتِها بنفسِه، وصلَّى عليها ودُفنت بالبقيعِ - رضي اللهُ عنها -.

وأما الثانيةُ: فريحانةُ بنتُ عمرٍو، وقيل: بنتُ زيدٍ، اصطَفَاها من بني قُريظةَ، وتَسَرَّى بها، ويُقال: إنه تَزَوَّجَها، وقيل: بل تَسَرَّى بها، ثم أعتقَها فَلَحِقَتْ بأهلِها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[مواليه ﷺ]

وهم: أحمرُ، وأسودُ، وأفلحُ، وأنسٌ، وأيمنُ بنُ أمِّ أيمنَ، وباذامُ، وثوبانُ بنُ بُجْدُدٍ، وحنينٌ، وذكوانُ، ورافعُ، ورباحُ، ورُوَيْفعٌ، وزيدُ بنُ بولاءَ، وزيدُ بنُ حارثةَ، وزيدُ بنُ جدّ هلالِ بنِ يسارٍ، وسابقُ، وسالمٌ، وسعيدٌ، وسفينةُ، وسلمانُ الفارسيُّ، وسليمٌ، وصالحُ شُقْرانَ، وضُميرةُ بنُ أبي ضُمَيرةَ، وعبيدُ الله بنُ أسلمَ، وعبيدٌ، وفَضَالةُ اليمانيُّ، وقُصَيْرٌ، وكِرْكِرَةُ - بكسرهما، ويقالُ: بفتحِهما - ومأبورٌ القبطيُّ، ومِدْعَمٌ، وميمونٌ، ونافعٌ، ونَبِيهٌ، وهُرمُزٌ، وهشامٌ، وواقِدٌ، وَوَرْدَانَ، وَيَسَارُ، وأبو أثيلةَ، وأبو بكرةَ، وأبو الحمراءِ، وأبو رافعٍ، وأبو عبيدٍ.

وأما إماؤُه: فأميةُ، وبركةُ - أمُّ أيمنَ، وهي أمُّ أسامةَ بنِ زيدٍ -، وخَضْرَةُ، ورضْوَى، وريحانةُ، وسَلْمَى - وهي أمُّ رافعٍ؛ امرأةُ أبي رافعٍ -، وشيرينُ، وأختُها ماريةُ؛ أمُّ إبراهيمَ - عليه السلامُ -، وميمونةُ بنتُ سعدٍ، وأمُّ ضُمَيْرةَ، وأمُّ عَيَّاشٍ.

قال أبو زكريا - رحمه الله تعالى -: «ولم يكُنْ ملكُه ﷺ لهؤلاءِ في زمنٍ واحدٍ؛ بل في أوقاتٍ مُتفَرِّقَةٍ».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[خَدَمُه ﷺ]

وقد التزمَ جماعةٌ من الصحابةِ – رضي اللهُ عنهم – بخدمتِه؛ كما كان عبدُ الله بنُ مسعودٍ صاحبَ نعلَيْهِ؛ إذا قام ألبَسه إياهما، وإذا جلس جَعَلَهُما في ذِرَاعَيْه حتى يقومَ.

وكان المغيرةُ بنُ شعبةَ سيافًا على رأسِه.

وعقبةُ بنُ عامرٍ صاحبَ بغلتِه، يقودُ به في الأسفارِ.

وأنسُ بنُ مالكٍ، وربيعةُ بنُ كعبٍ، وبلالٌ، وذو مخبرٍ – ويقال: ذو مخمرٍ، ابنُ أخي النجاشيِّ ملكِ الحبشةَ، ويقالُ: ابنُ أختِه –، وغيرُهم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[كُتَّابُ الوحي]

أما كتَّابُ الوحي: فقد كتب له أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، والزبيرُ، وأبيُّ بنُ كعبٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، ومعاويةُ بنُ أبي سفيانَ، ومحمدُ بنُ مسلمةَ، والأرقمُ بنُ أبي الأرقمِ، وأبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ، وأخوه خالدٌ، وثابتُ بنُ قيسٍ، وحنظلةُ بنُ الربيعِ الأسيديُّ الكاتبُ، وخالدُ بنُ الوليدِ، وعبدُ الله بنُ الأرقمِ، وعبدُ الله بنُ زيدِ بنِ عبدِ ربِّه، والعلاءُ بنُ عتبةَ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ، وشُرَحْبيلُ بنُ حَسَنَةَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[المؤذنون]

كان له ﷺ مؤذِّنونَ أربعةٌ: بلالُ بنُ رباحٍ، وعمرُو بنُ أمِّ مكتوم الأعمَى – وقيل: اسمُه عبدُ الله، وكانَا بالمدينة يتناوبانِ في الأذانِ–، وسعدُ القَرَظ بقُبَاءَ، وأبو مَحْذُورةَ بمكةَ – رضيَ الله عنهم –.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[في ذكرِ رسلِه إلى ملوكِ الآفاقِ]

* أرسل ﷺ عمرَو بنَ أميةَ الضَّمريَّ إلى النجاشيِّ بكتابِه، فأسلمَ ﷺ.
* ودحيةَ بنَ خليفةَ الكلبيَّ إلى هرقلَ عظيمِ الرومِ؛ فقاربَ وكادَ ولم يُسْلِمْ.
* وبعثَ عبدَ الله بنَ حُذافَةَ السَّهْمِيَّ إلى كِسْرَى ملكَ الفرسِ، فتكبَّر ومزَّقَ كتابَه ﷺ؛ فمزَّقه اللهُ وممالِكَه كلَّ ممزقٍ؛ بدعوةِ رسولِ الله ﷺ عليه بذلك.
* وحاطبَ بنَ أبي بلتعةَ إلى المقوقسِ ملكِ الإسكندريةِ ومصرَ، فقاربَ ولم يُذْكَرْ له إسلامٌ، وبعثَ الهدايا إليه ﷺ والتحفَ.
* وعمرَو بنَ العاصِ إلى مَلِكَيْ عُمانَ؛ فأسلَما، وخلَّيا بين عمرٍو والصدقةِ والحكمِ بينَ الناسِ - فرضي اللهُ تعالى عنهما -.
* وسليطَ بنَ عمرٍو العامريَّ إلى هَوْذَةَ بنِ عليٍّ الحنفيِّ باليمامةِ.
* وشجاعَ بنَ وهبٍ الأسديَّ إلى الحارثِ بنِ أبي شَمِّر الغَسَّانيِّ ملكِ البلقاءِ من الشامِ.
* والمهاجِرَ بنَ أبي أميةَ المخزوميَّ إلى الحارثِ الحِمْيَرِيِّ.
* والعلاءَ بنَ الحضرميِّ إلى المنذرِ بن سَاوَى العبديِّ؛ مَلكِ البحرينِ، فأسلَمَ.
* وأرسل أبا موسى الأشعريَّ ومعاذَ بنَ جبلٍ كليهما إلى أهلِ اليمنِ، فأسلمَ عامةُ ملوكِهم وسوقَتِهم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[نوقُه وخيولُه ﷺ]

وكان له ﷺ من النُّوقِ: العضباءُ، والجدْعاءُ، والقَصْوَاءُ.

وكان له من الخيلِ: السَّكْبُ - وكان أغرَّ محجَّلًا طَلْقَ اليمينِ، وهو أولُ فرسٍ غَزَا عليه-، وسَبْحَةُ - وهو الذي سابقَ عليه-، والمرتَجِزُ - وهو الذي اشتراه من الأعرابيِّ، وشهِدَ فيه خزيمةُ بنُ ثابتٍ[١] -.

وقال سهلُ بن سعدٍ: كان له ثلاثةُ أفراسٍ: لِزَازٌ، الظَّرِبُ، واللَّخيفُ - وقيل:

---

(١) وجعل النبيُّ ﷺ لذلك شهادته بشهادة رجلين. أبو داود (٣٦٠٧).

بالحاء المهملةِ، وقيل: النحيفُ -؛ فهذه ستةٌ، وسابعة؛ وهي: الوَرْدُ، أهداها له تميمٌ الداريُّ.

وكانت له بغلةٌ يقال لها: الدُّلْدُلُ؛ أهداها له المقوقِسُ، وحضَر بها يومَ حُنينٍ، وقد عاشت بعده ﷺ؛ حتى كان يُحَشُّ لها الشعيرُ لما سقَطَتْ أسنانُها، وكانت عندَ عليٍّ، ثم بعده عند عبدِ الله بن جعفرَ.

وكان له حمارٌ يقال له: عُفَيْر - بالعين المهملةِ.

وكان له ﷺ في وقتٍ عشرون لَقْحةً[1]، ومئةٌ من الغنمِ.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

[سلاحُه ﷺ]

وكان له من آلاتِ الحرب: ثلاثةُ أرماحٍ، وثلاثُ أقواسٍ، وستةُ أسيافٍ؛ منها: ذو الفَقَارِ؛ تنفَّلَه يومَ بدرٍ، ودِرْعانِ، وتُرْسٌ[2]، وخاتمٌ، وقدحٌ غليظٌ من خشبٍ، ورايةٌ سوداءُ مربَّعةٌ، ولواءٌ أبيضُ، وقيل: أسودُ.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) لقحة: اللقحة: الناقة الحلوب.

(٢) ترس: ما كان يتوقى به في الحرب.

[في صفته الظاهرة]

وقد جمعَ الشيخُ أبو زكريا النوويُّ في «تهذيبه» فصلًا مختصرًا فيه، فقال: «كان ﷺ ليس بالطويلِ البائنِ(١) ولا القصيرِ، ولا الأبيضِ الأمهقِ(٢) ولا الآدمِ(٣)، ولا الجعدِ القَطَطِ(٤) ولا السبطِ(٥).

وتوفِّيَ وليس في رأسِه عشرون شعرةً بيضاءَ.

وكان حسنَ الجسمِ، بعيدَ ما بين المنكبينِ، له شعرٌ إلى مَنْكِبَيْهِ، وفي وقتٍ: إلى شحمةِ أُذُنيهِ، وفي وقتٍ: إلى نصفِ أُذنيه.

كثَّ اللحيةِ، شَثْنَ الكفينِ؛ أي: غليظُ الأصابعِ، ضخمَ الرأسِ والكراديسِ(٦).

في وجهه تدويرٌ، أدعجَ العينينِ(٧) طويلَ أهدابِهما، أحمرَ المآقي ذا مَسْرُبَةٍ؛ وهي: الشعرُ الدقيقُ من الصدرِ إلى السرةِ؛ كالقضيبِ.

إذا مشى تقلَّع كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ؛ أي: يمشي بقوةٍ، والصببُ: الحدورُ.

يتلألأُ وجهُه تلألؤَ القمرِ ليلةَ البدرِ؛ كأن وجهَه القمرُ.

حسن الصوتِ، سهلَ الخدَّيْنِ، ضليعَ الفمِ(٨)، سواءَ البطنِ والصَّدْرِ، أشعرَ المنكبينِ والذراعينِ وأعالي الصدْرِ، طويلَ الزَّنْدَيْنِ(٩)، رحبَ الراحةِ(١٠).

أشكلَ العينينِ؛ أي: طويلُ شِقِّهما، منهوسَ العَقِبينِ؛ أي: قليلُ لحمِ العقبِ. بين

---

(١) ليس بالطويل البائن: أي ليس ظاهر الطول.

(٢) الأمهق: شديد البياض الذي لا يخالط بياضه حمرة.

(٣) الآدم: الأسمر.

(٤) الجعد: أي ليس شعره ملتويًا من خشونته. والقطط: شديد الجعودة.

(٥) السبط: مسترسل الشعر.

(٦) الكراديس: رؤوس العظام، واحدها: كردوس.

(٧) أدعج العينين: أي شديد سوادهما.

(٨) ضليع الفم: أي عظيم الفم واسعه .

(٩) طويل الزندين: الزندان: عظما الساعدين.

(١٠) رحب الراحة: أي واسع الكف.

كتفَيْهِ خاتَمُ النبوةِ؛ كَزِرِّ الحَجَلَةِ[١]، وكبيضةِ الحَمامةِ.

وكان إذا مشى كأنما تُطوى له الأرضُ، ويجدّونَ في لِحَاقِه وهو غيرُ مكترثٍ.

وكان يسدِلُ شعرَ رأسِه، ثم فَرَقَه، وكان يرجِّلُه، ويُسَرِّحُ لحيتَه، ويكتَحِلُ بالإثمدِ كلَّ ليلة، في كلِّ عينٍ ثلاثةُ أطرافٍ عند النومِ.

وكان أحبّ الثيابِ إليه القميصَ والبياضَ والحِبَرَةَ، وهي ضربٌ من البرودِ فيه حُمرةٌ، وكان كمُّ قميصِه ﷺ إلى الرسغِ.

لبسَ في وقت حُلَّةً حمراءَ وإزارًا ورداءً، وفي وقت ثوبينِ أخضرينِ، وفي وقتٍ جُبّةً ضَيِّقَةَ الكُمَّيْنِ، وفي وقتٍ قَبَاء، وفي وقتٍ عمامَةً سوداءَ، وأرخى طَرفَها بين كتفَيْه، وفي وقتٍ مِرْطًا أسودَ؛ أي: كِسَاء، ولبس الخاتمَ والخفَّ والنعلَ». انتهى ما ذكرَه.

وقال أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: «ما مسستُ ديباجًا ولا حريرًا ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شممتُ رائحةً قطُّ أطيبَ من رائحةِ رسولِ الله ﷺ، ولقد خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنينَ؛ فما قال لي: أفّ قطّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعَلْه: ألا فعلتَ كذا؟»[٢] رواه مسلم.

وقال عبدُ الله بنُ سلامٍ: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ؛ انجفَلَ[٣] الناسُ إليه، فلما نظرتُ إليه؛ عرفتُ أن وجْهَه ليس بوجهِ كذابٍ[٤] – صلى الله عليه صلاةً دائمةً إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا –.

❁❁❁❁❁

(١) الحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب وله أزرار كبار. أو هو الطائر المعروف وزرُّها بيضها.

(٢) مسلم (٢٣٣٤).

(٣) انجفل: أسرع ومضى.

(٤) الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١).

[أخلاقه ﷺ]

وأما أخلاقُه الطاهرةُ، فقد قال الله – سبحانه –: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١-٤].

وفي الصحيحِ عن عائشةَ – رضي الله عنها –؛ أنها قالت: «كان خُلُقُ رسول الله ﷺ القرآنَ»[(١)].

ومعنى هذا: أنه ﷺ قد ألزمَ نفسَه ألا يفعلَ إلا ما أمره به القرآنُ، ولا يتركَ إلا ما نهاه عنه القرآنُ؛ فصار امتثالُ أمرِ ربِّه خُلُقًا له وسَجِيَّةً – صلواتُ الله وسلامُه عليه إلى يومِ الدينِ –.

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]؛ فكانت أخلاقُه ﷺ أشرفَ الأخلاقِ وأكرمَها وأبرَّها وأعظمَها:

- فكان أشجعَ الناسِ؛ وأشجعَ ما يكونُ عند شدةِ الحروبِ.
- وكان أكرمَ الناسِ؛ وكان أكرمَ ما يكونُ في رمضانَ.
- وكان أعلمَ الخلقِ بالله، وأفصحَ الخلقِ نطقًا، وأنصحَ الخلقِ للخلقِ، وأحلمَ الناسِ.
- وكان ﷺ أشدَّ الناسِ تواضعًا في وقارٍ – صلواتُ الله وسلامُه عليه إلى يومِ الدينِ –.
- قالت قيلةُ بنتُ مخرمةَ – في حديثِها عند أبي داودَ[(٢)] –: فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ المتخشعَ في جِلْسَتِه؛ أُرعِدْتُ من الفَرَقِ[(٣)].
- وفي السيرةِ: أنه ﷺ لما دخلَ مكةَ يومَ الفتحِ؛ جعلَ يُطَأْطِئُ رأسَه من التواضعِ؛ حتى إن مُقَدَّمَ رحلِه ليصيبُ عُثْنُونَه[(٤)]، وهو من شعرِ اللحيةِ.
- وكان أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدْرِها، ومع ذلك فأشدُّ الناسِ بأسًا في أمرِ الله.

وهكذا مدحَ اللهُ – عزَّ وجلَّ – أصحابَه حيثُ قال – تبارك وتعالى –: ﴿ مُّحَمَّدٌ

---

(١) مسلم (٧٤٦).

(٢) أبو داود (٤٨٤٧).

(٣) الفرق: الخوف.

(٤) العثنون: ما نبت على الذقن وتحته سُفْلًا.

رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وستأتي – إن شاء الله تعالى – بقيةُ أوصافِه الجميلةُ فيما نوردُه من الأحاديثِ بعد هذا – إن شاء الله تعالى، وبه المستعانُ –.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[الأماكن التي حلّها صلوات الله وسلامه عليه]

قدِمَ الشامَ مرتين:

الأولى: مع عمِّه أبي طالبٍ في تجارةٍ له، وكان عمرُه إذ ذاك ثنتَيْ عشرةَ سنةً.

القَدْمَةُ الثانيةُ: في تجارةٍ لخديجةَ بنتِ خويلدٍ، وصُحْبتُه مولاها ميسرةُ، فبلغ أرضَ بُصْرَى، فباع ثَمَّ التجارةَ، ورجعَ، فأخبر ميسرةُ مولاتَه بما رأى عليه ﷺ من لوائحِ النبوةِ، فرغِبَتْ فيه وتزوجَتْه، وكان عمرُه حين تزوَّجَها – على ما ذكره أهلُ السير – خمسًا وعشرينَ سنةً.

وتقدم أنه ﷺ أُسْرِيَ به ليلًا من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصَى؛ فاجتمعَ بالأنبياءِ، وصلَّى بهم فيه، ثم ركِبَ إلى السماءِ، ثم إلى ما بعدَها من السمواتِ؛ سماءً سماءً، ورأى الأنبياءَ هناك على مراتِبهم، ويسلّمُ عليهم ويسلّمونَ عليه.

ثم صَعِدَ إلى سدرةِ المنتَهى، فرأى هناك جبريلَ – عليه السلامُ – على الصورةِ التي خلقَه اللهُ عليها؛ له سِتمائةُ جناحٍ.

فرأى من آياتِ ربِّه الكبرى؛ كما قال – تعالى –: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨].

وكلَّمه ربُّه – سبحانَه وتعالى – على أشهرِ قولَي أهلِ الحديثِ.

وأنكرتْ عائشةُ أمُّ المؤمنينَ – رضي الله عنها – رؤيةَ البصرِ.

ورأى الجنةَ والنارَ والآياتِ العظامَ، وقد فرضَ اللهُ – سبحانَه – عليه الصلاةَ ليلتئذٍ خمسينَ، ثم خفَّفها إلى خمسٍ، وتردَّد بين موسى – عليه السلام – وبين ربِّه – جلَّ وعزَّ – في ذلك[1].

---

(١) البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

ثم أُهبطَ إلى الأرضِ؛ إلى مكةَ إلى المسجدِ الحرامِ، فأصبح يخبرُ الناسَ بما رأى من الآياتِ.

وهاجر ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ.

وقَدَّمنا ذكرَ غزواتِه، وعُمَرِه، وحجَّتِه.

وذلك كلّه من توابعِ هذا الفصلِ، فأغنى ذكرُ ما تقدَّم عن إعادتِه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[سَمَاعاته ﷺ]

قد قدَّمْنا أنه ﷺ سمِعَ كلامَ الله - عزَّ وجلَّ - وخطابَه له ليلةَ الإسراءِ؛ حيثُ يقولُ ﷺ: «**فنوديتُ: أن قد أتممتُ فريضتي، وخففتُ عن عبادي، يا محمدُ! إنه لا يبدَّلُ القولُ لديَّ؛ هي خمس، وهي خمسون...**»(١).

فمثلُ هذا لا يقولُه إلا ربُّ العالمين؛ كما في قولِه - تعالى - لموسى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤].

قال علماءُ السلف وأئمتُهم: هذا من أدلِّ الدلائلِ على أن كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ هذا لا يقومُ بذاتِ مخلوقاتِه.

وقد روى ﷺ عن ربِّه - عزَّ وجلَّ - أحاديثَ كثيرةً؛ كحديث: «**يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته..**» الحديث، وقد رواه مسلم(٢).

وقد رأى جبريلَ - عليه السلامُ - هناك على صورتِه، وكان قد رآه قبل ذلك منهبطًا من السماءِ إلى الأرضِ على الصورةِ التي خُلِقَ عليها، وذلك في ابتداءِ الوحيِ، وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٥ - ٩]؛ **فالصحيحُ** من قولِ المفسرينَ - بل المقطوعُ به -: أن المتدلِّي في هذه الآيةِ هو جبريلُ - عليه السلامُ -؛ كما

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) مسلم (٢٥٧٧).

أخرجاه في «الصحيحين» عن عائشةَ – رضي الله عنها –: أنها سألتْ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «ذاك جبريلُ»[(١)]؛ فقد قطع هذا الحديثُ النزاعَ، وأزاحَ الإشكالَ.

وقد قدَّمنا أنه اجتمعَ بالأنبياءِ وهم على مراتِبِهم، ورأى خازِنَ الجنةِ وخازنَ النارِ، وشَيَّعَه من كل سماءٍ مُقَرّبوها إلى السماءِ التي تليها، وتلقَّاه المقرّبونَ من الأخرى.

ونزلَ عليه جبريلُ – عليه السلامُ – بالقرآنِ عن الله – عزَّ وجلَّ – على قلبِه الكريمِ.

وفي «السيرةِ»: أنه أتاه مَلَكُ الجبالِ يومَ قَرْنِ الثَّعالبِ برسالةٍ من الله – تعالى – فقال: «إن شاء أن يُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ»[(٢)]، فقال: «بل أستأني بهم»[(٣)].

وفي «صحيح مسلم»: أن مَلَكًا نزل بالآيتينِ من آخر سورةِ البقرةِ[(٤)].

وفي «صحيح مسلم» عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ؛ أنه ﷺ حدَّثَ على المنبرِ عن تميمٍ الداري بقصةِ الدجالِ[(٥)].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[السماع منه ﷺ]

وسمِعَ منه أصحابُه بمكةَ، والمدينةِ، وغيرِهما من البلادِ التي غَزَا إليها وحلَّها، وبعرفَةَ، ومنىً، وغيرِ ذلك.

وقد سمِعَ منه الجنُّ القرآنَ وهو يقرأُ بأصحابِه بعُكَاظٍ، وجاؤوه فسأَلوه عن أشياءَ.

ومكثَ معهم ليلةً شهِدَها عبدُ الله بنُ مسعودٍ؛ إلا أنه غيرُ مباشرٍ لهم، لكنَّه كان ينتظرُ رسولَ الله ﷺ في مكانٍ محوطٍ عليه؛ لئلا يصيبَه سوءٌ، فأسلمَ منهم طائفةٌ من جِنِّ نَصِّيبينَ[(٦)] – رضي الله عنهم أجمعين –.

---

(١) البخاري (٣٢٣٥)، ومسلم (١٧٧).

(٢) الأخشبان: جبلان محيطان بمكة.

(٣) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٤) مسلم (٨٠٦).

(٥) مسلم (٢٩٤٢).

(٦) نصّيبين: بلدة بقرب مدائن لوط.

وقد جاءه جبريلُ في صورةِ رجلٍ أعرابيّ؛ فحدَّثه عن الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ وأماراتِ الساعةِ[١].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[عددُ المسلمين حين وفاته ﷺ]

قال الإمامُ أبو عبدِ الله الشافعيُّ - رحِمَه الله -: تُوفّي رسولُ الله ﷺ والمسلمونَ ستون ألفًا؛ ثلاثون ألفًا بالمدينةِ، وثلاثونَ ألفًا في غيرِها.

وقال الحافظُ أبو زرعةَ؛ عبيدُ الله بنُ عبدِ الكريمِ الرازيُّ - رحمه الله تعالى -: توفّي رسولُ الله ﷺ وقد رآه وسمِعَ منه زيادةٌ على مئةِ ألفٍ.

وقال الحافظُ أبو عبدِ الله؛ محمدُ بنُ عبدِ الله الحاكمُ النيسابوريُّ: روى عنه ﷺ أربعةُ آلافِ صحابيٍّ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٥٠)، ومسلم (٨، ٩).

[خصائصُ رسولِ الله ﷺ]

في ذكر شيءٍ من خصائصِ رسولِ الله ﷺ التي لم يشارِكْهُ فيها غيرُه.

وقد رأيتُ أن أرتبَها على قسمينِ:

* **أحدهما:** ما اختُصَّ به عن سائرِ إخوانِه من الأنبياءِ - صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين -.

* **الثاني:** ما اختُصَّ به من الأحكامِ دونَ أمتِه.

القسم الأول

[ما اختُصَّ به دون غيره من الأنبياء]

أما القسم الأول: ففي «الصحيحينِ» عن جابرِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حرام الأنصاريِّ - رضي الله عنهم - قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أُعطيتُ خمسًا لم يعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وجُعِلتْ لِيَ الأرضُ مسجدًا وطَهورًا؛ فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركَتْه الصلاةُ، فليصلِّ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائِمُ ولم تُحَلّ لأحدٍ قَبْلي، وأُعطِيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِه خاصةً وبُعِثْتُ إلى الناسِ عامةً»**[1].

* فقولُه ﷺ: **«نصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ»**؛ قيل: كان إذا هَمَّ بغزوِ قومٍ أُرهِبوا منه قبل أن يقدِمَ عليهم بشهرٍ، ولم يكنْ هذا لأحدٍ سواهُ.

* وأما قوله ﷺ: **«وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا»**؛ فمعنى ذلك في الحديثِ الذي رواه الإمامُ أحمدُ في «مسنَدِه»: **«إنَّ من كان قبلَنا كانوا لا يُصَلّون في مَساكِنِهم، وإنما كانوا يُصَلّونَ في كنائِسِهم»**[2].

* وقوله: **«وطهورًا»**؛ يعني به: التيممَ؛ فإنه لم يكنْ في أمةٍ قبلَنا، وإنما شُرِعَ له ﷺ ولأمتِه؛ توسِعَةً، ورحمةً، وتخفيفًا.

* وقولُه ﷺ: **«وأُحِلَّت لِيَ الغنائمُ»**؛ فكان مَنْ قبلَه إذا غَنِموا شيئًا أَخْرَجوا منه قسمًا

---

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أحمد (٧٠٢٨).

فوضَعُوه ناحيةً، فتنزلُ نارٌ من السماءِ فتحرقُه.

* وقوله ﷺ: «**وأعطيتُ الشفاعةَ**»؛ يريدُ بذلك - صلواتُ الله وسلامُه عليه -: المقامَ المحمودَ الذي يَغْبِطُه به الأولونَ والآخرونَ، والمقامَ الذي يرغبُ إليه الخلقُ كلُّهم ليشفَعَ لهم إلى ربِّهم؛ ليفصِلَ بينهم ويُريحَهم من مقامِ المحْشَرِ، وهي الشفاعةُ العظمى التي يحيدُ عنها أولو العزمِ؛ لما خَصَّه اللهُ به من الفضلِ والتشريفِ.

* فيذهبُ، فيقَعْقِعُ بابَ الجنةِ، فيقولُ الخازنُ: «**من أنتَ؟ فيقولُ: محمدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ، لا أفتحُ لأحدٍ قبلَكَ**»[1].

وهذه خُصُوصِيةٌ - أيضًا - ليست إلا له من البشرِ كافةً، فيدخُلَ الجنةَ فيشفَعَ إلى الله - تعالى - في ذلك؛ كما جاء في الأحاديثِ الصحاحِ.

وهذه هي الشفاعةُ الأولى التي يختصُّ بها دونَ غيرِه من الرسلِ.

ثم تكونُ له بعد ذلك شفاعاتٌ: من إنقاذِ من شاء اللهُ من أهلِ الكبائرِ من النارِ من أمتِه؛ ولكنَّ الرسلَ يشاركونَه في هذه الشفاعةِ، فيشفعونَ في عُصَاةِ أممِهم، وكذلك الملائكةُ، بل والمؤمنونَ؛ كما في «الصحيحِ» من حديثِ أبي هريرة وأبي سعيدٍ: «**فيقولُ الله - تعالى -: شَفَعَتِ الملائكةُ، وشَفَعَ النبيونَ، وشَفَعَ المؤمنونَ، ولم يَبْقَ إلا أرحمُ الراحمينَ**»[2]، وذكر الحديثَ.

ثم هو أولُ شفيعٍ في الجنةِ؛ كما رواه الإمامُ أحمدُ في «مسندِه»، عن المختارِ بنِ فُلْفُلٍ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا أولُ شافعٍ في الجنةِ**»[3].

وهو شفيعٌ في رفعِ درجاتِ بعضِ أهلِ الجنةِ، وهذه الشفاعةُ اتفقَ عليها أهلُ السنةِ، ودليلُها:

ما في «صحيحِ البخاريِّ» من روايةِ أبي موسى: أن عمَّه أبا عامرٍ لما قُتِلَ بأَوْطَاس؛ قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم! اغفِرْ لعُبيدٍ أبي عامرٍ، واجعَلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ من**

---

(١) مسلم (١٩٧).

(٢) مسلم (١٨٣).

(٣) أحمد (١٠٦٠٤)، والترمذي (٣٦١٦)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

خَلْقَكَ»[1].

وقال – عليه الصلاةُ والسلامُ – لما مات أبو سلمةَ بنُ عبدِ الأسدِ: «اللهم ارفَعْ درجَتَه»[2].

* وأما قولُه ﷺ: «وكان النبيُّ ﷺ يُبعثُ إلى قومِه خاصّةً، وبُعثتُ إلى الناس عامةً»؛ فمعناه في الكتابِ العزيزِ، وهو قولُه – عزَّ وجلَّ –: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

فكان النبيُّ ممن كان قبلَنا لا يكلَّفُ من أداءِ الرسالةِ إلا ما يدعو به قومَه إلى الله، وأما محمدٌ – صلواتُ الله وسلامُه عليه –؛ فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، في آيٍ كثيرٍ من القرآنِ تدلُّ على عمومِ رسالتِه إلى الثقلينِ، فأمره اللهُ – تعالى – أن ينذِرَ جميعَ خلقِه: إنسَهُم وجِنَّهم، وعربَهم وعجَمَهم، فقام – صلواتُ الله وسلامُه عليه – بما أُمِرَ، وبلَّغَ عن الله رسالتَه.

* ومن خَصَائِصِهِ على إخوانِه من الأنبياءِ – صلواتُ الله وسلامُه عليه وعليهم أجمعين –: أنه أكمَلُهم، وسيّدُهم، وخطيبُهم، وإمامُهم، وخاتَمُهم.

فما مِنْ نبيٍّ إلا وقد أُخِذَ عليه الميثاقُ: لئن بُعثَ محمدٌ وهو حيٌّ؛ ليؤمِنَنَّ به ولينصُرَنَّه، وأُمِرَ أن يأخُذَ على أمتِه الميثاقَ بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، يقولُ – تعالى –: مهما آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ بعدَ هذا كلِّه؛

---

(١) البخاري (٢٨٨٤)، ومسلم (٢٤٩٨).

(٢) مسلم (٩٢٠).

فعليكم الإيمانُ به ونصرتُه.

وإذا كان هذا الميثاقُ شاملًا لكلٍّ منهم؛ تضمَّن أخذه لمحمدٍ ﷺ من جميعِهم، وهذه خصوصيةٌ ليست لأحدٍ منهم سواه.

* **ومن ذلك**: أنَّ معجزةَ كلِّ نبيٍّ انقضَتْ معه، ومعجزتُه ﷺ باقيةٌ بعدَه إلى ما شاء اللهُ؛ وهو القرآنُ العزيزُ، المعجِزُ لفظُه ومعناه، الذي تحدَّى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثلِه، فعجزوا، ولن يُمْكِنَهم ذلك أبدًا إلى يومِ القيامةِ.

* **ومن ذلك**: أنه ﷺ أُسريَ به إلى سدرةِ المنتهى، ثم رجع إلى منزلِه في ليلةٍ واحدةٍ، وهذه من خصائِصه ﷺ، لم يشارِكْه أحدٌ في المبالغةِ في التقريبِ والدنوِّ والتعظيمِ.

ولهذا؛ كانت منزلتُه في الجنةِ أعلاها منزلةً وأقربَها إلى العرشِ؛ كما جاء في الحديث: **«ثم سلوا اللهَ ليَ الوسيلةَ؛ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنْبَغي إلا لعبدٍ من عبادِ الله، وأرجو أن أكونَ أنا هو»**[(١)]؛ - فصلى اللهُ عليه وسلم -.

* **ومن ذلك**: أنه ﷺ أولُ من تنشقُّ عنه الأرضُ[(٢)].

* **ومن ذلك**: أنه - عليه الصلاةُ والسلام - إذا صَعِقَ الناسُ يومَ القيامةِ يكونُ هو أولَهم إفاقةً؛ كما أخرجَاه في «الصحيحين»[(٣)].

* **ومن ذلك**: أنه صاحبُ اللواءِ الأعظمِ يومَ القيامةِ.

* **ومن ذلك**: أنه صاحبُ الحوضِ المورودِ، وقد روى الترمذيُّ وغيرُه: **«إن لكلِّ نبيٍّ حوضًا»**[(٤)]، ولكنْ؛ نعلم أن حوضَه ﷺ أعظمُ الحياضِ، وأكثرُها واردًا.

* **ومن ذلك**: أن البلدَ الذي بُعث فيه أشرفُ بقاعِ الأرضِ، ثم مُهَاجَرُه على قولِ الجمهورِ.

ونقل القاضي **عياضُ** الاتفاقَ على أن قبره الذي ضَمَّ جَسَده بعد موتِه أشرفُ بقاعِ الأرضِ.

وأصل ذلك: ما رُوي أنه لما مات ﷺ؛ اختلَفوا في موضعِ دفنِه؛ فقيل: بالبقيعِ، وقيل:

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٤) الترمذي (٢٤٤٣).

بمكةَ، وقيل: ببيتِ المقدسِ، فقال أبو بكر ﷺ: إن الله لم يقبِضْه إلا في أحبِّ البقاعِ إليه.

* **ومما يشتركُ فيه هو والأنبياءُ**: أنه ﷺ كان تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه، وكذلك الأنبياءُ.

* وجاء في «الصحيح»: «**تراصّوا في الصفِّ؛ فإني أراكم من وراءِ ظَهْري**»[1]؛ فحمله كثيرٌ منهم على ظاهرِه، والله أعلم.

* وجاء في حديثٍ رواه أبو يعلى الموصليُّ في «مسندِه»، عن أنسٍ مرفوعًا: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهم يُصَلّون**»[2].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٧١٨)، ومسلم (٤٢٥).

(٢) مسند أبي يعلى (٦/ ١٤٧).

القسم الثاني

[ما كان مختصًّا به دون أمته]

من الخصائص: ما كان مختصًّا به دونَ أمتِه، وقد يشاركُه في بعضِها الأنبياءُ، وهذا هو المقصودُ الأولُ؛ فلنذكُره مرتبًا على أبوابِ الفقهِ:

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كتاب الإيمان

* **فمن ذلك:** أنه كان معصومًا في أقوالِه وأفعالِه، لا يجوزُ عليه التعمدُ ولا الخطأُ الذي يتعلَّقُ بأداءِ الرسالةِ ولا بغيرِها فيقَرُّ عليه؛ فلا ينطقُ عن الهوى؛ إن هو إلا وحيٌ يوحَى.

* **ومن ذلك:** ما ذكره أبو العباسِ بنُ القاصّ: أنه كُلِّف وحدَه من العلمِ ما كُلِّف الناسُ بأجمعِهم، واستشهَدَ البيهقيُّ على ذلك بحديثِ ابنِ عمرَ - رضي اللهُ عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ؛ إذا أُتيتُ بقدحٍ فيه لبنٌ، فشربتُ منه؛ حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفارِي، ثم أعْطَيْتُ فَضْلي عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ**»، قالوا: فما أولتَ ذلك يا رسولَ الله؟! قال: «**العلم**»[1]. رواه مسلم.

* **ومن ذلك:** أنه كان يَرَى ما لا يَرى الناسُ حولَه؛ ففي «الصحيحِ» عن عائشةَ - رضي الله عنها -: أن رسولَ الله ﷺ قال لها: «**هذا جبريل يقرأُ عليك السلامَ**»، قالت: عليه السلام يا رسول الله! ترى ما لا نرى[2].

وعنها في حديثِ الكسوفِ الذي في «الصحيحين»: «**والله، لو تعلمونَ ما أعلم؛ لضحِكْتُم قليلًا، ولبكيتُم كثيرًا**»[3].

* **ومن ذلك:** أن الله أمره أن يختارَ الآخرةَ على الأولى.

وكان يُحرِّمُ عليه أن يمدَّ عينَيْهِ إلى ما مُتِّع به المترفونَ من أهلِ الدنيا، ودليلُه من

---

(١) البخاري (٨٢)، ومسلم (٢٣٩١).

(٢) البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧).

(٣) البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٤٢٦).

الكتابِ العزيزِ ظاهرٌ.

* ومن ذلك: أنه لم يكنْ له تعلُّمُ الشعرِ، قال اللهُ – تعالى –: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس: ٦٧].

* ومن ذلك: أنه لم يكن يُحسنُ الكتابةَ. قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

* ومن ذلك: أن الكذبَ عليه ليس كالكذبِ على غيرِه، فقد تواترت عنه – صلواتُ الله وسلامُه عليه –: أن من كذبَ عليه متعمدًا؛ فليتبوأْ مقعَدَه من النارِ[١].

روي هذا الحديث من طريق نيف وثمانين صحابيًا. وعند البخاريّ من روايةِ الزبيرِ ابنِ العوامِ، وسلمةَ بنِ الأكوعِ، وعبدِ الله بنِ عمرٍو، ولفظُه: «**بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ، ومن كذبَ عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأْ مقعَدَه من النارِ**»[٢].

وصرح بتواترِه: ابنُ الصلاحِ، والنوويُّ، وغيرُهما من حفاظِ الحديثِ؛ وهو الحقُّ.

فلهذا أجمعَ العلماءُ على كفرِ من كذبَ عليه متعمدًا مستجيزًا لذلك، واختلفوا في المتعمدِ فقط؛ فقال الشيخُ أبو محمد: يكفر – أيضًا –، وخالفَه الجمهورُ.

* ومن ذلك: أنه من رآه في المنامِ؛ فقد رآه حقًّا؛ كما جاء في الحديث: «**فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[٣]؛ لكنْ بشرطِ أن يراه على صورتِه التي هي صورتُه في الحياةِ الدنيا.

واتفقوا أنَّ من نَقَلَ عنه حديثًا في المنامِ أنه لا يُعملُ به؛ لعدمِ الضبطِ في روايةِ الرائي؛ فإن المنامَ محلٌّ تضعُفُ فيه الروحُ وضبطُها، والله تعالى أعلمُ.

* ومن ذلك: أنه لم يكنْ له خائنةُ الأعينِ؛ أي: أنه لم يكنْ له أن يومِئَ بطرفِه خلافَ ما يُظهِره كلامُه، فيكونُ من بابِ اللمزِ، ومستندُ هذا: قصةُ عبدِ الله بنِ سعدِ بنِ أبي

---

(١) البخاري (١٠٧)، ومسلم (٣).

(٢) البخاري (٣٤٦١).

(٣) البخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦).

سَرحٍ، حين كان قد أهدرَ ﷺ دمَه يومَ الفتحِ في جملةِ ما أهدرَ من الدماءِ، فلما جاء به أخوه من الرَّضاعةِ: عثمانُ بنُ عفانَ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله بايِعْه، فتوقَّفَ ﷺ؛ رجاءَ أن يقومَ إليه رجل فيقتُلَه، ثم بايعَه، ثم قال لأصحابه: «أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ؛ يقومُ إلى هذا حين رآني قد أمسكتُ يدي فيقْتُلُه؟!»، فقالوا: يا رسولَ الله! هلا أومأتَ إلينا؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعينِ»[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كتاب الطهارة

❁ فمن ذلك: أنه كان قد أُمِرَ بالوضوءِ لكلِّ صلاةٍ، فلما شقَّ ذلك عليه؛ أُمر بالسواكِ، ومستندُه: ما رواه عبدُ الله بنُ حنظلةَ بنِ أبي عامرٍ: «أن رسولَ الله ﷺ أُمِرَ بالوضوءِ لكلِّ صلاةٍ طاهرًا وغيرَ طاهرٍ، فلما شقَّ ذلك عليه؛ أُمِرَ بالسِّواكِ لكلِّ صلاةٍ»[2] أخرجه أبو داود.

وعن أمِّ سلمةَ؛ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «ما زال جبريلُ يوصيني بالسواكِ؛ حتى خشيتُ على أضْراسي»[3] رواه البيهقي، وقال البخاري: «هذا حديث حسن».

❁ ومن ذلك: أنه كان لا ينتقضُ وضوؤُه بالنومِ، ودليلُه: حديثُ ابنِ عباسٍ في «الصحيحين»: «أنه ﷺ نام حتى نَفَخَ، ثم جاءه المؤذنُ، فخرجَ فصلَّى ولم يتوضَّأْ»[4].

وسببُه: ما ذُكر في حديثِ عائشةَ - رضي اللهُ عنها - أنها سألتْه، فقالتْ: يا رسولَ الله! تنامُ قبلَ أن تُوتِرَ؟ فقال: «يا عائشةُ! تنام عَينَايَ ولا ينامُ قلبي»[5].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أبو داود (٤٣٩٥).

(٢) أبو داود (٤٨)، وأحمد (٢١٤٥٣).

(٣) السنن الكبرى (٧/ ٤٩)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٥١).

(٤) البخاري (٦٩٨)، ومسلم (٧٦٣).

(٥) أحمد (٢٣٥٥٣)، وأبوداود (٢٠٢).

كتاب الصلاة

مسألة :

وأما قيامُ الليلِ – وهو التهجدُ –، وهو غيرُ الوترِ على الصحيحِ؛ قال جمهورُ الأصحابِ:إن التهجُدَ كان واجبًا عليه، وتمسّكوا بقولِ الله – تعالى–: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال عطيةُ بنُ سعيدٍ العوفيُّ، عن ابنِ عباسٍ في قوله تعالى: ﴿ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾؛ يعني بالنافلةِ: أنها للنبيِّ ﷺ خاصَّةً، أُمر بقيامِ الليلِ، فكُتِبَ عليه.

وقال عروةُ، عن عائشةَ – رضي الله عنها –: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى قام حتى تَفَطَّر رجلَاه، فقالت عائشةُ: يا رسولَ الله! تفعلُ هذا وقد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأَخَّر؟! قال: «يا عائشةُ! أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟»[(١)] رواه مسلم. وأخرجاه من وجهٍ آخرَ عن المغيرةِ بنِ شعبةَ.

وحكى الشيخُ أبو حامدٍ – رحِمَه اللهُ تعالى – عن الإمامِ أبي عبدِ الله الشافعيِّ – رحمه اللهُ تعالى –: أن قيامَ الليلِ نُسِخَ في حقِّه ﷺ كما نُسِخَ في حقِّ الأمةِ؛ فإنه كان واجبًا في ابتداءِ الإسلامِ على الأمةِ كافةً.

قال الشيخُ أبو عمرٍو بنُ الصلاحِ: «وهذا هو الصحيحُ الذي تَشْهَدُ له الأحاديثُ؛ منها: حديثُ سعدِ بنِ هشامٍ عن عائشةَ، وهو في «الصحيحِ» معروفٌ، وكذا قال أبو زكريا النوويُّ – رحمه الله تعالى –».

قلتُ: والحديثُ الذي أشار إليه: رواه مسلمٌ من حديثِ سعدِ بنِ هشامٍ: أنه دخلَ على عائشَةَ أمِّ المؤمنينَ، فقال: يا أمَّ المؤمنينَ! أَنبئيني عن قيامِ رسولِ الله ﷺ، قالت: ألستَ تقرأ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ؟ قلتُ: بلى، قالت: فإنَّ الله افترضَ القيامَ في أولِ هذه السورةِ، فقامَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حولًا؛ حتى انتفَخَتْ أقدامُهم، وأمسَكَ الله خاتمِتَها اثنَيْ عشرَ شهرًا في السماءِ، ثم أنزلَ الله التخفيفَ في آخرِ هذه السورةِ، فصار

---

(١) البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

قيامُ الليل تطوعًا بعد فريضةٍ[١].

وقد أشار الشافعيُّ إلى الاحتجاجِ بهذا الحديثِ في النسخِ، وبقولِه - تعالى -: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ قال: فأعلمَه أن قيامَ الليلِ نافلةٌ لا فريضةٌ، والله - سبحانه وتعالى - أعلمُ.

مسألة:

وكانت صلاتُه النافلةُ قاعدًا كصلاتِه قائمًا وإن لم يكن له عذرٌ، بخلافِ غيرِه؛ فإنه على النصفِ من ذلك، واستدلّوا على ذلك بما رواه مسلمٌ عن عبد الله بن عمرٍو - رضي الله عنهما - قال: حُدِّثْتُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**صلاة الرجل قاعدًا نصفُ الصلاةِ**»، فأتيتُه فوجدتُه يصلِّي جالسًا، فوضعتُ يدي على رأسي، فقال: «**مالك يا عبدَ الله بنَ عمرٍو؟!**»، فقلت: حُدِّثْتُ يا رسولَ الله! أنك قلتَ: «**صلاة الرجلِ قاعدًا على نصفِ الصلاةِ**»، وأنت تصلِّي قاعدًا! فقال: «**أجلْ؛ ولكني لستُ كأحدٍ منكم**»[٢].

مسألة:

وكان يجبُ على المصلِّي إذا دعاه رسولُ الله ﷺ أن يجيبَه؛ لحديثِ أبي سعيدِ بنِ المعَلَّى في «صحيحِ البخاريِّ»[٣]، وليس هذا لأحدٍ سواه.

مسألة:

وكان لا يصلِّي على من مات وعليه دينٌ لا وفاءَ له؛ كما أخرجَه البخاريُّ في «صحيحِه»، ثم نُسخ ذلك بقولِه: «**من ترك مالًا؛ فَلِوَرَثَتِه، ومن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا؛ فإليّ**»[٤]، فقيل: كان يَقْضِيه عنه وجوبًا، وقيل: تكرُّمًا.

* **ومن ذلك:** أنه كان إذا دعا لأهلِ القبور؛ يملؤُها اللهُ عليهم نورًا ببركةِ دعائِه - صلوات الله وسلامُه عليه -؛ كما ثبتَ في «صحيحِ مسلمٍ» عن عائشةَ - رضي الله عنها[٥] -.

---

(١) مسلم (٧٤٦).

(٢) مسلم (٧٣٥).

(٣) البخاري (٤٤٧٤).

(٤) البخاري (٢٣٩٩).

(٥) مسلم (٩٥٦).

* ومن ذلك: أنه مرَّ بقبرينِ، فقال: «إنهما ليُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كبيرٍ»، ثم أخذَ جريدةً رطبةً، فشقَّها نصفينِ، فوضَعَ على كلِّ قبرٍ شِقَّةً، ثم قال: «لعلَّ الله يخففُ عنهما؛ ما لم يَيْبَسَا»(١) أخرجاه عن ابن عباسٍ.

مسألة:

* ومن ذلك: أنه ﷺ وعِكَ في مرضِه وَعْكًا شديدًا، فدخلَ عليه عبدُ الله ابنُ مسعودٍ، فقال: يا رسولَ الله! إنك لتُوعَكُ وعْكًا شديدًا، فقال: «أجل؛ إني لأوعَكُ كما يوعَكُ الرجلانِ منكم»، قلت: لأن لك أجرين؟ قال: «نعم» رواه الشيخانِ(٢).

مسألة:

ولم يمُتْ ﷺ حتى خيّره اللهُ تعالى بين أن يُفْسَحَ له في أجلِه ثم الجنةَ، وإن أَحَبَّ لَقِيَ الله سريعًا؛ فاختارَ ما عندَ الله على الدنيا، وذلك ثابتٌ في «الصحيحينِ» عن عائشةَ - رضي الله عنها(٣) -.

مسألة:

* ومن ذلك: أن اللهَ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ.

والدليلُ عليه: حديثُ شدادِ بنِ أوسٍ، وهو في «السننِ»(٤)، وقد صحَّحه بعضُ الأئمةِ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

كتاب الزكاة

مسألة:

كان يَحْرُمُ عليه أكلُ الصدقةِ، سواءٌ كانت فرضًا أم تطوعًا؛ لقولِه ﷺ: «إن الصدقةَ لا تحلُّ لمحمدٍ ولا لآلِ محمدٍ»(٥).

وروى مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «أن رسولَ الله ﷺ كان يأكلُ الهديةَ ولا يأكلُ الصدقةَ»(٦). وهذا عام.

---

(١) البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).
(٢) البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).
(٣) البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤).
(٤) النسائي (١٣٧٤)، وأبوداود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وأحمد (١٥٧٢٩).
(٥) مسلم (١٠٧٢).
(٦) مسلم (١٠٧٧).

كتاب الصيام

كان الوصالُ في الصيامِ له مباحًا؛ ولهذا نهى أمتَه عن الوصالِ، فقالوا: إنك تواصِلُ؟ قال: «لستُ كهيئتِكم؛ إني أبيتُ عند ربي يُطعمُني ويسقِيني» أخرجاه[١].

فقطَعَ تأسِّيهم به بتخصيصِه؛ بأن اللهَ تعالى يُطعِمُه ويسقِيه.

وقد اختلفوا: هل هما[٢] حِسِّيان أو معنويانِ؟ على قولينِ؛ الصحيحُ: أنهما معنويانِ؛ وإلا لما حصلَ الوصالُ.

كتابُ الحجّ

مسألة:

أُبيحَتْ له مكةُ يومًا واحدًا، فدخَلَها بغيرِ إحرامٍ، وقُتِلَ من أهلها يومئذٍ نحوٌ من عشرينَ.

وبالجملةِ: كان ذلك من خصائصه؛ كما ذكر ﷺ في خطبتِه صبيحةَ ذلك اليومَ، حيث قال: «فإن ترخَّصَ أحدٌ بقتالِ رسولِ الله ﷺ فيها، فقولوا: إنَّ الله أَذِنَ لرسولِه ولم يأذنْ لكم»[٣]، والحديث مشهور.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كتاب الأطعمة

قال بعضُ الأصحابِ: كان يَحْرُمُ عليه أكلُ البصلِ والثُّومِ والكراثِ، ومستندُ ذلك: ما أخرجاه عن جابرٍ: أن رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بِقِدْرٍ فيه خضراتٌ من بقولٍ: فوجدَ لها ريحًا، فقال لبعضِ أصحابِه: «كُلوا»، فلما رآه كرِه أكلَها؛ قال: «كُلْ؛ فإني أُناجي من لا تُناجي»[٤].

والصحيحُ الذي عليه الجادةُ: أن ذلك ليس حرامًا عليه، بل كان أكلُ ذلك

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أي الإطعام والسقيا.

(٣) البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤).

(٤) البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).

مكروهًا في حَقِّه، والدليلُ على ذلك: ما رواه مسلمٌ عن أبي أيوبٍ؛ أنه صنعَ لرسولِ الله ﷺ طعامًا فيه ثُومٌ، فردَّه ولم يأكُلْ منه، فقال له: أحرامٌ هو؟ فقال: «لا، ولكنِّي أكرهُه»، فقال: إني أكرهُ ما كرِهْتَ[١].

قال الشيخُ أبو عمرٍو: وهذا يُبْطِلُ وجْهَ التحريمِ. واللهُ تعالى أعلمُ.

مسألة:

وروى البخاريُّ عن أبي جُحَيْفَةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أما أنا؛ فلا آكلُ متكئًا**»[٢]. فقال بعضُ أصحابِنا: إن ذلك كان حرامًا عليه.

قال النوويُّ: والصحيحُ: أنه كان مكروهًا في حقِّه لا حرامًا.

قلت: فعلى هذا لا يبقى من بابِ الخصائصِ؛ فإنه يُكْرَه لغيرِه – أيضًا – الأكلُ متكئًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ومن الهبةِ

مسألة:

كان يقبلُ الهديةَ ويُثيبُ عليها.

ثبت ذلك في «الصحيحِ» عن عائشةَ – رضي الله عنها[٣] –؛ وما ذاك إلا لما يرجُو من تأليفِ قلبِ من يهدِي إليه، بخلافِ غيرِه من الأمراءِ؛ فإنه قد صحَّ الحديثُ أن: «**هدايا العمال غُلول**»[٤]؛ لأنها في حقِّهم كالرِّشَى؛ لوجودِ التهمةِ، واللهُ – تعالى – أعلمُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ومن الفـرائضِ

مسألة:

وهو أنه ﷺ لا يُورَثُ، وأنَّ ما تركَه صدقةٌ؛ كما أخرجا في «الصحيحينِ» عن أبي

---

(١) مسلم (٢٠٥٣).

(٢) البخاري (٥٣٩٨).

(٣) البخاري (٢٥٨٥).

(٤) أحمد (٢٣٠٩٠).

بكرٍ ﷺ: أن فاطمةَ – رضي اللهُ عنها – سألته ميراثَها من أبيها، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا نُورثُ؛ ما تركْنَا صَدَقةٌ**»[١]، إنما يأكلُ آلُ محمدٍ في هذا المالِ، وإني والله لا أغيِّرُ شيئًا من صَدَقَةِ رسولِ الله ﷺ عن حالِها التي كانت عليه في عهدِه.

ولهما عن أبي هريرةَ ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دينارًا؛ ما تركتُ بعدَ نفقةِ نسَائي ومُؤْنةِ عاملي؛ فهو صَدَقَةٌ**»[٢].

وقد أجمعَ على ذلك أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ، ولا التفاتَ إلى خرافاتِ الشيعةِ والرافضةِ؛ فإن جَهْلَهم قد سارتْ به الركبانُ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٧).

(٢) البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٦٠).

كتاب النكاح

وفيه عامةُ أحكامِ التخصِيصَاتِ النبويةِ – على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ –، ولنَذْكُرْها مرتبةً على الأقسامِ التي ذكرها الأصحابُ؛ ليكونَ ذلك أخصرَ لهذا، وأسهلَ تناولًا.

فالقسمُ الأول

وهو ما وجبَ عليه دون غيره

مسألة:

أمره اللهُ – تعالى – بتخييرِ أزواجِه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩].

وقد أخرجَا في «الصحيحينِ» عن عائشةَ – رضي الله عنها – ذِكْرَ هذا التخييرِ، وأن الله أمرَه بذلك(١).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

القسم الثاني

ما حَرُم عليه من النكاحِ دونَ غيرِه

قالوا: كان يَحْرُمُ عليه إمساكُ من اختارتْ فِرَاقَه على الصحيحِ، بخلافِ غيرِه ممن يُخيِّر امرأتَه؛ فإنها لو اخْتارتْ فِرَاقَه لما وجَبَ عليه فراقُها، واللهُ – تعالى – أعلمُ. وقال بعضُهم: بل كان يُفارِقُها تكَرُّمًا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٤٧٨٦)، ومسلم (١٤٧٧).

القسم الثالث

ما أُبيحَ له من النكاحِ دونَ غيرِه

مسألة:

ماتَ - صلواتُ الله وسلامُه عليه- عن تسعِ نسوةٍ، واتفقوا على إباحةِ تسعٍ.

واختلف أصحابُنا في جوازِ الزيادةِ:

فالصحيحُ: أنه كان له ذلك، ودليلُه ما في البخاريِّ: عن أنسٍ؛ قال: «كان رسولُ الله ﷺ يطوفُ على نسائِه في الساعةِ الواحدةِ من ليلٍ أو نهارٍ، وهنَّ إحدى عَشْرَةَ».

قيل لأنسٍ: هل كان يُطيقُ ذلك؟ قال: كنا نتحدثُ أنه أُعطِيَ قوةَ ثلاثينَ - وفي روايةٍ: أربعينَ[(١)] -.

وقال أنسٌ: تزوجَ ﷺ خمسَ عشرةَ امرأةً، ودخلَ بثلاثَ عشرةً، واجتمعَ عنده إحدى عشرةَ، ومات عن تسعٍ[(٢)].

مسألة:

قالوا: وكان يصحُّ عَقْدُه بلفظِ الهبةِ؛ لقولِه تعالى: ﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وإذا عَقَدَه بلفظِ الهبةِ؛ فلا مَهْرَ بالعَقْدِ ولا بالدخولِ، بخلافِ غيرِه.

مسألة:

هل كان يجبُ عليه أن يقسِمَ لنسائِه وإمائِه؟ على وجهينِ، والذي يظهرُ من الأحاديثِ الوجوبُ؛ لأنَّه ﷺ لما مَرِضَ جعلَ يطوفُ عليهنَّ وهو كذلك، حتى استأْذَنهُنَّ أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشةَ - رضي الله عنها -، فأَذِنَّ له.

وقال أبو سعيدٍ الإصْطَخْرِيُّ: لا يجبُ؛ لقولِه - تعالى -: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية [الأحزاب: ٥١]؛ فيكونُ من الخَصَائِصِ.

وأعتَقَ صفيةَ، وجعل عِتقَها صَدَاقَها؛ كما ثبتَ في «الصحيحينِ» عن أنسٍ[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٦٨).

(٢) البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) البخاري (٩٤٧)، ومسلم (١٣٦٥).

فقيل: معنى ذلك: أنه أعتَقَها وشرطَ عليها أن تتزوَّجَ به، فوجَبَ عليها الوفاءُ بالشرطِ، بخلافِ غيرِه. وقيل: جعلَ نفسَ العتقِ صداقًا، وصح ذلك بخلافِ غيرِه، وهو اختيارُ الغزاليّ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

القسمُ الرابعُ

ما اختُصَّ به من الفضائلِ دونَ غيرِه

* **فمن ذلك**: أنَّ أزواجَه أمهاتُ المؤمنينَ، قال – تعالى –: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ومعنى هذه الأمومةِ: الاحترامُ، والطاعةُ، وتحريمُ العقوقِ، ووجوبُ التعظيمِ؛ لا في تحريمِ بناتِهِنَّ، وجوازِ الخَلْوةِ بهنَّ، ولا تنتشرُ الحرمةُ إلى من عَدَاهُنَّ.

فـرع:

وهل يُقالُ له ﷺ: أبو المؤمنينَ؟ نقلَ البغويُّ عن بعضِ الأصحابِ الجوازُ. قلت: وهو قولُ معاويةَ.

ونقلَ الواحديُّ عن بعضِ الأصحابِ المنعُ؛ لقولِه – تعالى –: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولكن المرادَ: أباهم في النسبِ؛ وإلا فقد روى أبوداود: «إنما أنا لكم مثلُ الوالدِ...»[1].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) أبو داود (٨).

مسائلُ متفرقةٌ

مسـألـة :

وأزواجُه أفضلُ نساءِ الأمةِ؛ لتضْعيفِ أجرِهنَّ، بخلافِ غيرِهنَّ، ثم أفضَلُهنَّ خديجةُ وعائشةُ.

مسـألـة :

ويَحْرُمُ نكاحُ زوجاتِه اللاتي تُوُفِّي عنهنَّ إجماعًا؛ وذلك لأنهنَّ أزواجُه في الجنةِ.

والمرأةُ إذا لم تتزوجْ بعد موتِ زوجِها؛ فهي له في الآخرةِ.

مسـألـة :

ومن قذفَ عائشةَ أمَّ المؤمنينَ؛ قُتِل إجماعًا؛ حكاه السُّهَيْليُّ وغيرُه؛ لنصِّ القرآنِ على براءتِها.

مسـألـة :

وكذلك من سبَّه ﷺ قُتِلَ - رجلًا كان أو امرأةً -؛ للأحاديثِ المتضَافِرَةِ في ذلك، فمن ذلك: حديثُ ابنِ عباسٍ في الأعمَى الذي قَتَلَ أمَّ ولدِه لما وقَعَتْ في النبيِّ ﷺ، وذَكَر ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «**ألا اشهدوا أن دَمَها هَدَرٌ**»(١).

مسـألـة :

وكان من خَصَائِصِه: أنه إذا سبَّ رجلًا؛ ليسَ بذلك حَقِيقًا؛ أن يُجْعَلَ سبُّ رسولِ الله ﷺ كفارةً عنه، ودليلُه: ما أخرجاه في «الصحيحينِ» عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم! إني اتخذتُ عندك عهدًا لن تُخْلِفَه: إنما أنا بَشَرٌ، فأيُّ المؤمنينَ آذيتُه، أو شَتَمْتُه، أو جَلَدْتُه، أو لَعَنْتُه؛ فاجعَلْها له صلاةً، وزكاةً، وقربةً تقرِّبُه بها إليكَ يومَ القيامةِ**»(٢).

ولهذا: لما ذكر مسلمٌ في «صحيحِه» في فَضْلِ معاويةَ؛ أورَد أولًا هذا الحديثَ، ثم أتبعَه بحديثِ: «**لا أشبعَ الله بَطْنَه**»(٣)؛ فيحصُلُ منهما مَزِيَّةٌ لمعاويةَ ﷺ، وهذا من جملةِ إمامةِ مسلمٍ - رحمه الله تعالى -.

---

(١) أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠).

(٢) البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١).

(٣) مسلم (٢٦٠٤).

ومن الجهادِ

مسـألـة :

وكان إذا لَبِسَ لأَمةَ الحربِ[١]؛ لم يَجُزْ له أن يقلَعَها، حتى يَقْضِيَ الله أمرَه؛ لحديثِ يومِ أحدٍ، لما أشارَ عليه جماعةٌ من المؤمنينَ بالخروجِ إلى عَدُوِّه إلى أحدٍ، فدخَلَ، فلبِسَ لأمتَه، فلما خرجَ عليهم؛ قالوا: يا رسولَ الله! إنْ رأيتَ أن ترجِعَ؟ فقال: «**إنه لا ينبغي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لأمةَ الحربِ أن يَرْجِعَ حتى يُقَاتِلَ...**»[٢].

مسـألـة :

قالوا: وكان يجبُ عليه مصابرةُ العدوِّ وإن زادوا على الضِّعْفِ، وكأنَّ ذلك مأخوذٌ من حديثِ الحدَيبيةِ، واللهُ أعلم، حيث يقولُ - عليه الصلاةُ والسلامُ - لعروةَ في جملةِ كلامِه: «**فإنْ أبوْا؛ فوالله لأقاتِلنَّهم** - يعني: قريشًا - **على هذا الأمرِ؛ حتى تَنْفَرِدَ سَالِفَتي**»[٣]. والحديثُ مخرجٌ في «صحيح البخاريِّ»[٤].

مسـألـة :

وقد قدَّمنا قولَه ﷺ: «**إنه لم يكن لنبيٍّ خائنةُ الأعينِ**»[٥].

قالوا: وكان مع هذا يجوزُ له الخديعةُ في الحروبِ؛ لقولِه ﷺ: «**الحربُ خُدْعَةٌ**»[٦].

وكما فعلَ يومَ الأحزابِ من أمرِه نعيمَ بنَ مسعودٍ أن يُوقِعَ بين قريشٍ وقريظةَ، ففعلَ ما فعلَ؛ حتى فرَّق الله شَمْلَهم على يَدَيْهِ، وألقى بينهم العداوةَ وَفلَّ اللهُ جموعَهم[٧] بذلك وبغيرِه، وله الحمدُ والمنةُ.

مسـألـة :

وقد كان له ﷺ الصَّفِيُّ من المغنَمِ؛ وهو: أن يختارَ فيأخُذَ ما يشاءُ؛ عبدًا، أو أمةً، أو سلاحًا، أو نحوَ ذلك قبلَ القِسْمَةِ، وقد دلَّ على ذلك أحاديثُ في السننِ وغيرِها.

---

(١) لأمة الحرب: أداتها من رمحٍ ومغفر وسيف ودرع وغيره.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) تنفرد سالفتي: السالفة: جانب العنق والمعنى: حتى يقطع عنقي.
(٤) البخاري (٢٧٣١).
(٥) أبو داود (٢٦٨٣).
(٦) البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٣٩).
(٧) فلَّ الله جموعهم: أذهبها وفرقها.

وكذلك كان له خمسُ خمسِ الغنيمةِ، وأربعةُ أخماسِ الفيءِ - كما هو مذهبُنا، لا خلافَ في ذلك -.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ومن الأحكامِ

مسألة:

* **قالوا:** له أن يحكُمَ بعلمِه؛ لعدَمِ التهمةِ، وشاهدُه: حديثُ هندِ بنتِ عتبةَ، حين اشتكَتْ من شُحِّ زوجِها أبي سفيانَ، فقال: «**خذي من مالِه بالمعروفِ ما يكفيكِ ويكفي بنيكِ**». وهو في «الصحيحينِ»[1] عن عائشةَ - رضي الله عنها -.

* **قالوا:** وعلى هذا؛ فيحكم لنفسِه وولدِه، ويشهَدُ لنفسِه وولدِه، وتُقبَلُ شَهَادَةُ من يشهَدُ له؛ لحديثِ خزيمةَ بنِ ثابتٍ[2]، وهو حديثٌ حسنٌ مبسوطٌ في غيرِ هذا الموضعِ، واللهُ - تعالى - أعلم.

مسألة:

* **قالوا:** ومن استهانَ بحَضْرَتِه، كفرَ.

مسألة:

* يجوزُ التسمِّي باسمِه بلا خلافٍ، وفي جوازِ التكَنِّي بكُنْيةِ أبي القاسمِ ثلاثةُ أقوالٍ للعلماءِ:

أحدُها: المنعُ من ذلك مطلقًا لحديثٍ وردَ فيه عن جابرٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَسَمُّوا باسمي، ولا تَكَنّوا بكُنيتي**»[3] أخرجاه.

والثاني: وهو مذهبُ مالكٍ، واختيارُ النوويِّ - رحمهما اللهُ تعالى -: إباحتُه مطلقًا؛ لأنَّ ذلك كان لمعنًى في حالِ حياتِه زالَ بموتِه ﷺ.

الثالثُ: يجوزُ لمن ليس اسمُه محمدًا، ولا يجوزُ لمن اسمُه محمدٌ؛ لئلا يكونَ قد جمَع بين اسمِه وكنيتِه، وهذا اختيارُ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ الرافعيِّ.

---

(١) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) النسائي (٤٦٤٧).

(٣) البخاري (١١٠)، ومسلم (٢١٣١).

مسألة :

وذكروا في الخصائِصِ: أن أولادَ بناتِه ينتسبونَ إليه؛ استنادًا إلى ما رواه البخاريُّ عن أبي بكرةَ ﷺ قال: رأيتُ الحسنَ بنَ عليٍّ - رضي اللهُ عنهما - عند النبيِّ ﷺ على المنبرِ، وهو ينظرُ إليه مرةً وإلى الناسِ أخرى، فيقول: «**إن ابني هذا سيدٌ، ولعلَّ اللهَ أن يُصْلِحَ به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمينَ**»(١).

مسألة :

* ومن الخصائص: أن كلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ فإنه ينقطعُ نفعُه وبِرُّه يومَ القيامةِ؛ إلا نسبُه، وسببُه، وصِهْرُه ﷺ، قال اللهُ - تعالى -: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وعن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ: أنه لما خَطَبَ أمَّ كُلثوم بنتَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ؛ فقال له عليٌّ: إنها صغيرةٌ، فقال: إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كلُّ سببٍ ونسبٍ ينقطعُ يومَ القيامةِ إلا سَبَبَي ونَسَبي**»(٢)؛ فأحببتُ أن يكونَ لي من رسولِ الله ﷺ سببٌ ونسبٌ، فزوَّجه عليٌّ - رضي اللهُ عنهما -.

مسألة :

* ومن خصائِصِه ﷺ من دونِ سائرِ أمتِه: أنه كان أشدَّهم بأسًا، وأقواهم شَجَاعةً؛ كان لا يَفِرُّ من عَدُوٍّ قلَّ أو كثُر.

قال أنسُ بنُ مالكٍ - لما ذكر أنه ﷺ طافَ على نسائِه في يومٍ واحدٍ -: وكنا نعدُّه في قوةِ ثلاثينَ من أمتِه(٣).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أحمد (١٨٤٢٨).

(٣) البخاري (٢٦٨).

في الإشارةِ إلى أنواعِ الشفاعةِ التي يُعْطَاها نبيُّنا محمدٌ ﷺ

فأعلاها وأعظمُها وأوسعُها:

* **المقامُ المحمودُ** الذي يرغَبُ إليه الخلقُ كلُّهم؛ فيه ليشفَعَ لهم عندَ الله – تبارك وتعالى –؛ ليأتِيَ لفصلِ القضاءِ، وإنقاذِ المؤمنينَ من مقامِ المحْشَرِ يومَ القيامةِ، ويخلِّصَهم من مجاورةِ الكفارِ في العَرَصَاتِ، بعد ما يُسْأَلُه آدمُ، ونوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى – صلواتُ الله وسلامُه عليهم –، فكلٌّ يقولُ: لستُ بصاحبِ ذلك، فيأتون إلى محمدٍ – صلواتُ الله وسلامُه عليه –، فيسألونَه ذلك، فيقولُ: «**أنا لها، أنا لها**»، فينطلقُ، فيشفَعُ عندَ الله في ذلك[1]، وقد تَقَدَّم بسطُ ذلك.

* **المقامُ الثاني:** من مقاماتِ الشفاعةِ: شفاعتُه في أقوامٍ من أمتِه قد أُمِرَ بهم إلى النارِ؛ أن لا يدخلُوها.

* **المقامُ الثالثُ:** وهو الشفاعةُ لأقوامٍ تساوَتْ حَسَنَاتُهم وسيئاتُهم؛ فلم يستَحِقّوا دخولَ الجنةِ، ولم يستَوْجِبوا الدخولَ إلى النارِ، فيشفعَ في أن يدخُلوا الجنةَ.

* **وأما المقامُ الرابعُ من مقاماتِ الشفاعةِ:** فهو الشفاعةُ لأهلِ الكبائرِ الذين أُدخِلوا النارَ؛ ليخرُجُوا من النارِ، وقد تواترتْ بذلك الأحاديثُ عن رسولِ الله ﷺ في الصِّحَاحِ، والمسانيدِ، وغيرِها من كتبِ الإسلامِ.

* **المقامُ الخامسُ:** شفاعتُه للمؤمنينَ بعد ما يجوزونَ الصراطَ في أن يُؤْذَنَ لهم في دخولِ الجنةِ؛ فَذُكِرَ أنهم يأتونَ آدمَ، ثم نوحًا، ثم إبراهيمَ، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتونَ محمدًا ﷺ، فيشفَعَ لهم؛ فَيُشَفَّعَ – صلواتُ الله وسلامُه عليه إلى يومِ الدين –.

ويشهَدُ له حديثُ أنسٍ في «صحيحِ مسلمٍ»: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أنا أولُ شفيعٍ في الجنةِ**»[2].

* **المقامُ السادسُ من مقاماتِ الشفاعةِ:** شفاعتُه- عليه الصلاةُ والسلامُ – في رفْعِ درجاتِ بعضِ المؤمنينَ في الجنةِ.

---

(١) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (١٩٣).

(٢) مسلم (١٩٦).

ودليلُه: حديثُ أمِّ سلمةَ الذي في «صحيحِ مسلمٍ»: أن رسولَ الله ﷺ لما مات أبو سَلَمَةَ؛ قال: «**اللهمّ اغفِرْ لأبي سَلَمَةَ، وارفَعْ درجَتَه في المهدِيّينَ، واخلُفْه في عَقِبِه في الغَابرينَ، واغفِرْ لنا وله يا ربَّ العالمينَ، وافْسَحْ له في قبرِه، ونوِّرْ له فيه**»[(١)].

وهكذا الحديثُ الآخرُ عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنه لما أُخبِرَ رسولُ الله ﷺ بأنَّ أبا عامرٍ قُتل بأَوْطَاس؛ توضَّأ رسولُ الله ﷺ، ثم رفَعَ يديْهِ، وقال: «**اللهم! اغفر لعُبَيْدٍ أبي عامرٍ، واجعَلْه يومَ القيامةِ فوقَ كثيرٍ من خَلْقِكَ**». رواه الشيخانِ في «الصحيحينِ»[(٢)].

---

(١) مسلم (٩٢٠).

(٢) البخاري (٢٨٨٤)، ومسلم (٢٤٩٨).

الفهـرس